ملك العراق الصغير

فَيصَل الثّاني

ذكريات

مُربّية الملك بَتي موريسون

وصديقه مايكل أرنولد

علي أبو الطحين

ملك العراق الصغير
فيصل الثاني
أصغر ملك في العالم

ترجمة وإعداد
علي أبو الطحين

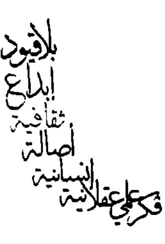
الطبعة الأولى 2014
عدد النسخ 1000 عدد الصفحات 192
القياس 14.5 × 21.5

العمليات الفنية والتنفيذ الطباعي
دار صفحات



بناية المكتبة البغدادية
079017853386 - 07707900655
07901312029 - 07813515055
Email: yaserbook@yahoo.com





دار ميزوبوتاميا MEZOPOTAMIA
For Publication and Distribution
بغداد - شارع المتنبي للطباعة والنشر والتوزيع

موبايل: 14993150970
Mazin24@ymail.com
mazinboox@yahoo.com
mazin774@gmail.com

التنفيذ والإخراج الفني والغلاف: دار صفحات ـ دمشق

ترجمة وإعداد

علي أبو الطحين

ملك العراق الصغير

فيصل الثاني

أصغر ملك في العالم

تتضمّن ذكريات كل من

مُربّية الملك بَتي موريسون وصديقه مايكل آرنولد





2014

الإهداء

إلى روح الملك الشهيد

الفهرس

الإهداء.. 5

تقديم : 9

القسم الأول

ذكريات بَتي موريسون - مُربّية الملك فيصل الثاني 1940 - 1943.. 13

بَتي موريسون: 15

1 - السفر إلى بغداد 17

2 - في قصر الزهور 20

3 - مع فيصل 25

4 - الرحلة إلى السليمانية.. 30

5 - التقدم في تعليم فيصل.. 33

6 - الأميرات 38

7 - الحياة في القصر.. 43

8 - خارج القصر... 46

9 - تدهور الأوضاع السياسية 49

10 - حركة رشيد عالي الكيلاني 54

11 - الاختباء في البعثة الأمريكية 59

12 - نهاية الأزمة.. 62

13 - العودة إلى القصر.. 64

14 - فيصل في السرير 66
15 - العراقيون يكرهون عبد الإله 72
16 - المشاكل مع المُمرّضة 76
17 - الزواج 78
18 - الرحيل 79

القسم الثاني

ذكريات مايكل آرنولد - من أصدقاء الملك فيصل الثاني 83
مايكل آرنولد : 85
1 - زيارة القصر الملكي 89
2 - الرحلة إلى راوندوز 107
3 - زيارة الأمير عبد الإله 119

القسم الثالث

الملاحق 125
ملك العراق الصغير يواجه مهمّة صعبة 127
العيد السابع لمليك العراق 131
المصوّر في زيارة - جلالة ملك العراق 135
عندما كان ملك العراق في مصر 140
حديث الدكتور مصطفى جواد - عن تدريس الملك فيصل الثاني 145
ملحق المطبوعات المصورة 151
ملحق الصور الفوتوغرافية 177

تقديم :

ملك العراق الصغير فيصل الثاني

في الرابع من شهر نيسان سنة 1939 أصبح الطفل الصغير فيصل الثاني ملكاً على العراق، بعد أن تعرّض والده الملك غازي الأول لإصابة بالغة في الرأس، أدّت إلى وفاته، إثر حادث اصطدام لسيارة، كان يقودها. كان فيصل لم يبلغ - بعد - الرابعة من عمره، فأصبح - حينها - أصغر ملكاً في العالم.

وُلد فيصل في 2 من شهر مايس (أيار) سنة 1935، وكانت ولادته - وهو الطفل البكر - عسيرة. فُعيِّن له - منذ ولادته - مُمرّضة إنكليزية، تُدعى الآنسة دورا بورلاند؛ لتعتني بتربيته ونشأته، وقد لازمته لفترة طويلة. وعندما بلغ الخامسة من عمره، استُقدمت المُربّية والمعلمة إليزابيث سولمان لتعليم فيصل مبادئ القراءة والكتابة والحساب، وبعد مغادرتها العراق سنة 1943، جاءت مُربّية بريطانية أخرى، تُدعى روزاليند راميريس، واستمرت معه بضع سنوات أخرى حتى انتقاله للدراسة في بريطانيا

سنة 1947. وخلال تلك الفترة، كان هناك مجموعة من الأساتذة العراقيين والبريطانيين، يساعدون في تعليم فيصل، وإعداده لمهامّه الدستورية المقبلة؛ ليتربّع على عرش العراق عند بلوغه الثامنة عشرة من عمره في 2 من مايس (أيار) سنة 1953.

هذا الكتاب هو مجموعة من ما نُشر من ذكريات وبعض مقالات في طفولة الملك فيصل الثاني، ومجموعة من الصور الفوتوغرافية عن تلك المرحلة الأولى من حياته.

القسم الأول من الكتاب هو ذكريات المُربّية الأولى إليزابيث سولمان، والتي أصبح اسمها إليزابيث موريسون بعد زواجها في بغداد من جون موريسون في ربيع سنة 1942. في العادة؛ يكنّى اسم إليزابيث في بريطانيا باسم بَتي Betty، وكانت إليزابيث موريسون تُنادى بهذا الاسم، فأصبح اسمها المتعارف بَتي موريسون.

أما القسم الثاني من الكتاب؛ فهو صفحات من ذكريات مايكل آرنولد، الذي صَاحَبَ فيصل في طفولته في بغداد لبعض الوقت. والاسم الحقيقي لمايكل آرنولد هو أندري كرونمان، وكان طفلاً في الثامنة من عمره حين جاء من بولندا إلى العراق سنة 1940، بصحبة والدته هرباً من الاحتلال الألماني.

والقسم الثالث هو ملاحق تضمّ مجموعة من مقالات نُشرت عن فيصل الثاني في طفولته، إضافة إلى صفحات مصوّرة من مجلات وجرائد من تلك الفترة، وصور فوتوغرافية، منها - ربما - لم يُنشَر من قبل.

نَشرت بَتي موريسون ذكرياتها في كتاب صغير، صدر سنة 1995، ويقع في تسعين صفحة، يضم ذكرياتها في مهنة التعليم في الهند قبل وصولها إلى العراق كمُربّية للملك فيصل الثاني بين السنوات 1940-1943، وكذلك مذكرات لجَدّتها الكبرى عن رحلة إلى الهند.

تتضمّن ذكريات بَتي موريسون في العراق عملها في قصر الزهور كمُربّية للملك فيصل، وما واجهته من مشاكل مع المُمرّضة البريطانية بورلاند والطبيب سندرسون باشا؛ في إهمال تربية فيصل تربية بدنية صحّيّة وصحيحة، وعزله في داخل القصر، وعدم اختلاطه بالأطفال من عمره، وإحاطته بالقطن، كما تقول. إضافة إلى الأجواء السياسية المعقّدة في ظروف الحرب العالمية الثانية، وبالأخص الأيام العصيبة للعائلة المالكة خلال ثورة مايس سنة 1941.

أما مايكل آرنولد؛ فيصف في ذكرياته التي طُبعت في سنة 2003 زيارته الأولى لقصر الزهور واللعب والتسلية مع فيصل ومرافقيه من الحرس، وكذلك مشاركة فيصل برحلة لمدة أسبوعين إلى مدينة راوندوز في كردستان العراق. إضافة إلى الزيارات واللقاءات مع الملكة عالية والأمير الوصيّ وخالات الملك؛ الأميرات الثلاث.

لابد من الإشارة إلى أن كلاً من بَتي موريسون ومايكل آرنولد قد وضعا تلك المذكرات بعد مضي أكثر من خمسين عاماً على تلك الوقائع والأحداث، وهي - كما يبدو - وُضعت من الذاكرة، أو من رؤوس أقلام مُبتسرة، كما يتضح من بعض الأخطاء الثانوية التي وردت في ذكرياتهم،

وكذلك وجود فجوات تاريخية طويلة بين الأحـداث، وغياب بعض التفاصيل، وإن كانت هناك بعض الوقائع وُضعت بتفاصيل وحوارات دقيقة للغاية.

ومن ناحية أخرى، يجب أن لا نُغفل أن كلاً من موريسون وآرنولد ينطلقان من ثقافة ورؤية للأحداث، قد لا تتطابق، بل قد تتناقض مع فهمنا وتفسيرنا لتلك الأحداث والوقائع، فمن الطبيعي أن تكون المُربّية البريطانية مرتابة – مثلاً – من ثورة مايس سنة 1941، وأن تستغرب من كره العراقيين إلى عبد الإله، إلخ.

تمّ – قدر الإمكان – المحافظة على النص، كما ورد في الذكريات، وتصحيح بعض الأخطاء التي لابد منها. فعلى سبيل المثال، سمّى مايكل آرنولد قصرَ الرحاب بالقصر الأبيض في ذكرياته، فكان لابد من تصحيح ذلك، وفي مكان آخر، وضع تسلسل العمر للأميرات الثلاث، أخوات الملكة عالية، بديعة وعابدية وجليلة، والحقيقة أن عابدية هي الكبرى، وكانت أكبر من عالية، ثم تليها بديعة، والصغرى جليلة. وقد تُرك هذا الخطأ كما هو؛ لأن المؤلف بنى فكرته عن الأميرات على هذا النحو، لكي تُحفظ فكرة المؤلف، كما في النص، وتم الإشارة للخطأ في الهامش.

القسم الأول

ذكريات بَتي موريسون
مُربّية الملك فيصل الثاني
1940 ـ 1943

بَتي موريسون:

وُلدت بَتي سولمان في 23 من شهر كانون الثاني سنة 1909 في مقاطعة سسكس في جنوب إنكلترا. كانت عائلتها تملك وتدير مدرسة تحضيرية خاصة للأطفال، فربّت بَتي، وتدرّبت، وعملت في ذلك المناخ التعليمي الخاص بالأطفال الصغار.

في سنة 1934 ذهبت إلى الهند، وقضت أربع سنوات في التدريس هناك حتى سنة 1938، تعلّمت خلالها التزلج والفروسية، ويُذكر أنها استمرت بالتزلج حتى 72 من عمرها، وركوب الخيول حتى عندما بلغت 92. تم اختيارها تحت إرشاد السيدة همفريز زوجة السفير البريطاني السابق - حينها - في العراق لمهمّة تعليم فيصل ملك العراق الصغير عندما كان في الخامسة من عمره، فأصبحت مُربّية له، لأكثر من عامين بين صيف 1940 وحتى مطلع سنة 1943.

استخدمت بَتي مع فيصل طريقة التعليم بالقراءة الصوتية، وكانت وسيلة حديثة، لم تنتشر بعد، ووضعت كتاباً سنة 1980 للتعليم بهذه الطريقة خصوصاً للأطفال عسيري القراءة. تزوجت - خلال وجودها في بغداد - من جون موريسون الذي وصل بغداد في النصف الثاني من

سنة 1941. أُرسل جون موريسون من قِبل المخابرات البريطانية إلى العراق على أنه مُدرّس في اللغة الإنكليزية، وهو خرّيج جامعة كمبريدج الشهيرة، للعمل في المركز الثقافي البريطاني. وتمّ توظيفه للتدريس في الكلية العسكرية العراقية وكلية الأركان، ليكون - كما هو واضح - قريباً من ضباط الجيش بعد ثورة مايس سنة 1941. لكنْ؛ يبدو أن كلاً من بَتي موريسون وزوجها لم يكونا على علاقة جيدة بالسفارة البريطانية في بغداد، فطلب جون نقله للعمل في القدس، وانتقل الزوجان للعيش في فلسطين في بداية سنة 1943، وأصبح ممثلاً للمركز الثقافي البريطاني في شرق الأردن وفلسطين.

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، عادت بَتي موريسون إلى بريطانيا حين أصبح زوجها بروفسوراً في اللغة الإغريقية في جامعة درهام في شمال إنكلترا سنة 1945، ثم انتقل إلى جامعة كمبريدج في كلية ترينتي التي أصبح رئيساً لها منذ سنة 1965.

تُوفّيت بَتي في 15 من شهر مايس سنة 2003، بعد أن توفي زوجها جون في 25 من شهر تشرين الأول سنة 2000. كان ثمرة زواجهما خمسة أطفال، ثلاثة صبيان، وبنتين.

1
السفر إلى بغداد

في الوقت الذي غزت فيه القوات الألمانية هولندا في ربيع سنة 1940، كان من الغريب - في أجواء الحرب تلك والأخبار المتلاحقة المقلقة - أن أجد نفسي أحمل مضرباً للعبة الكريكت، وفي يدي نسخة من كتاب « قراءة بلا دموع» في طريقي من بريطانيا إلى بغداد؛ لأكون مُربّية إلى ملك العراق الصغير فيصل الثاني.

دُعيت من قِبل السيدة همفريز، زوجة السفير البريطاني السابق في العراق، لمقابلة سيدتين من المعلّمات المتقاعدات في مدينة بكسهيل، للنظر في مؤهّلاتي، وترشيحي لأكون مُربّية للملك فيصل، ويبدو أن تقريرهما كان رائقاً إلى السيدة همفريز حين كتبت لي عن رغبتها في مقابلتي. وهكذا - في وقت قصير - كنتُ في طريقي عبر بحر المانش إلى مدينة لوهافر على الساحل الفرنسي. كانت صورة مدينة لوهافر المكتظة بالسيارات المحملة بالأفرشة على سقوفها للحماية مفزعة، فكان لابد لي من طلب الاستشارة عن إمكانية مواصلة السفر أم الرجوع، فلم أجد أفضل من الكنيسة الإنكليزية في باريس للاستفسار من بعض الإنكليز هناك،

وكانت النصيحة، بالسفر حالاً، ودون تأخّر، للّحاق بالبواخر المتجهة نحو الشرق.

كانت الباخرة التابعة لشركة الملاحة الفرنسية هي آخر مركب لها، يمخر في مياه البحر المتوسط، وقد امتلأ بالجنود الفرنسيين الذاهبين إلى فلسطين. وقد أبدى هؤلاء الجنود عدم الرغبة بالتقاط الصور الفوتوغرافية معهم، نظراً لوضع فرنسا المجهول حتى ذلك الوقت.

في مدينة حيفا، ترجّل الجنود الفرنسيين، وواصلنا نحن المسير إلى بيروت، ومن هناك، كان عليّ اتخاذ الطريق البري إلى دمشق.

لم يكن هناك متسع من الوقت في دمشق لاستكشاف أسواق المدينة، لكني تجوّلتُ في الجامع الأموي الشهير. وفي صباح اليوم التالي، كان على المسافرين إلى بغداد الركوب في حافلة ضخمة ذات دواليب متعددة، صُنعت خصيصاً لعبور الصحراء، وهي تابعة لشركة تُسمّى نيرن، أسّسها أخوان من نيوزلندة، انطلقت منذ سنة 1923، ولم تتوقّف تلك الحافلات عن النقل عبر الصحراء منذ ذلك الحين، عدا فترة ثورة الدروز في سنة 1925.

قضينا النهار في الطريق حتى المساء حين وصلنا إلى مدينة الرطبة في وسط الصحراء المدوّية، فتوقّفنا للاستراحة في مطعم بإدارة أحد الضباط البريطانيين المتقاعدين، يُقدّم فيه أشهى المشروبات والمأكولات.

في الصحراء، تمحو الرمال العاصفة أيّ أثر للطريق، ولا يظهر أي مَعْلَم واضح للمسير، إلا أن السائق له حدس لا يُخطئ في معرفة الطريق،

في إحدى المرات، اضطُرّ للوقوف واستطلاع النجوم لدلالة الطريق. وغُصنا لمرتين في الرمال الرخوة، فقام - عندها - الرجال من المسافرين إلى المعاول والمساحي لإخراج الحافلة.

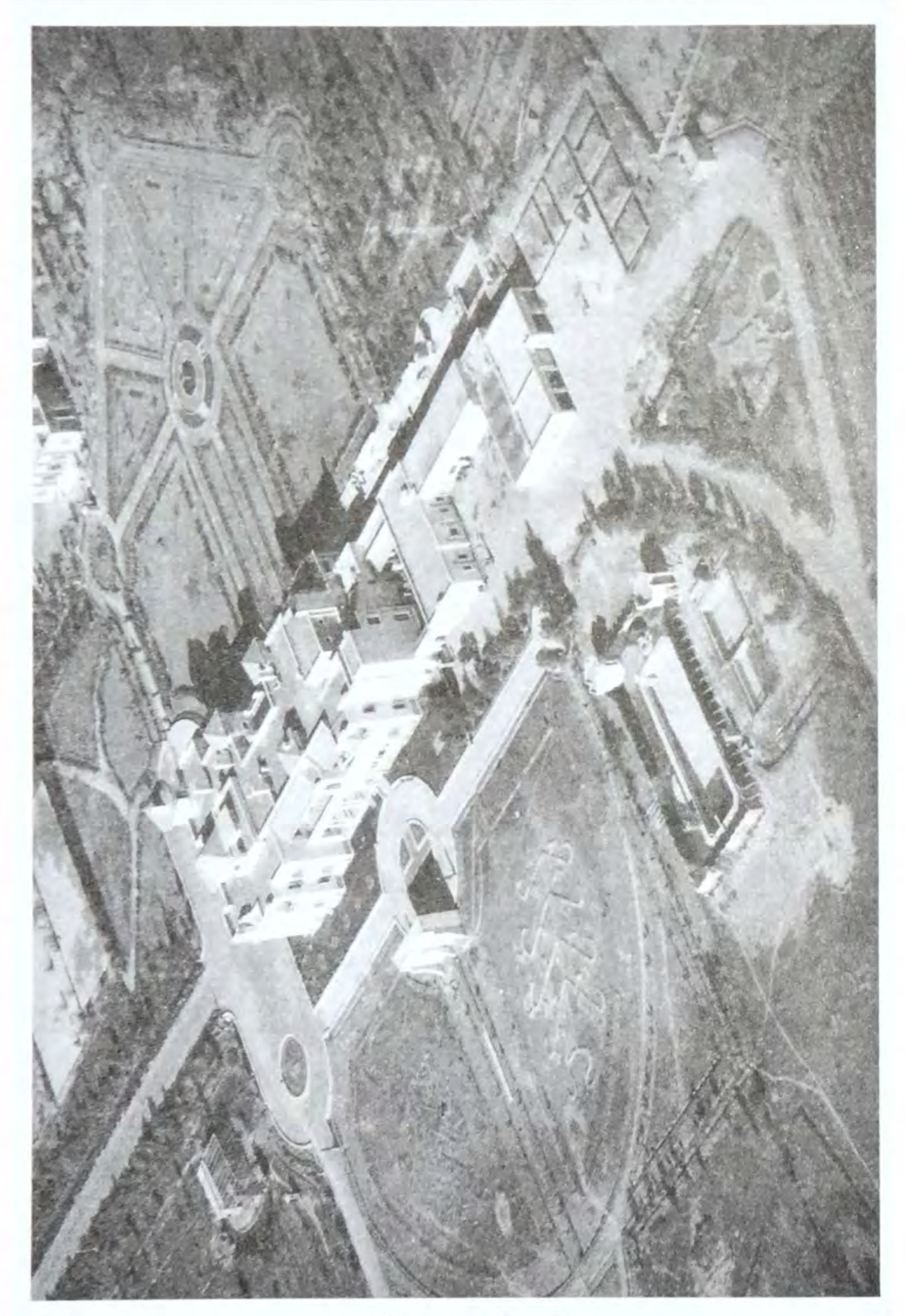
في اليوم الأول من الطريق، كان هناك بعض من مشاهد الحياة في الصحراء، كقافلة من الجمال، والخيام السوداء للبدو، كذلك غزلان، تُجاري الحافلة في سرعة قد تصل إلى أربعين ميلاً في الساعة. وعند شروق الشمس في اليوم التالي، برزت العديد من الزواحف والسحليات، وبمختلف الأحجام، تنعم بأشعة الشمس الدافئة.

تلك الصورة الرومانسية الحالمة في رحلة الخمسمائة ميل عبر الصحراء تلاشت عند الوصول إلى بغداد، فمدينة الألف ليلة وليلة بدت صغيرة، مقفرة، وقذرة. وساء الأمر سوأً حين لم تأتِ الإبل ، بل جاءت سيارة حديثة مألوفة يقودها سائق زنجي سوداني، لتأخذني إلى القصر على بعد ستة أميال. هكذا انتهت رحلتي التي بدأتها من محطة القطار في أجواء لندن في ظلال الحرب إلى قصر الزهور في بغداد.

2
في قصر الزهور

حين وصلتُ القصر كانت الملكة عالية في غرفة الاستقبال في الطابق العلوي مع وصيفتها، فذهبتُ على الفور للقائها. وبدلاً من تقديم انحناءة الاحترام إلى الملكة، انحنيتْ للوصيفة، فالملكة كانت متوشّحة بالسواد، ولا يظهر منها سوى وجهها. عندها؛ رأيت لأول مرة الملك فيصل، كان واقفاً قرب الثلاجة، ينادي المُمرّضة طالباً الماء: «ميّ، ماما».

لم يخبرني أحد أيّ شيء عن العائلة المالكة، فالملكة الأم لا تتحدث الإنكليزية، وقد ترمّلت بعد مقتل الملك غازي في حادث سيارة، وهي تخرج للتوّ من حزنها الكبير. فحسب التقاليد الإسلامية، كان عليها قضاء السنة الأولى كأرملة في الطابق الأرضي، وحتى هذا اليوم بعد مرور عام على الحادث، مازالت في أجواء الحزن، ولا يجوز لها التنزّه أو سماع الموسيقى. لقد وجدتُ الملكةَ امرأةً محتشمة ومحترمة ومنشرحة بشكل كبير. كانت الأميرة ستّ عابدية تعيش - أيضاً - في هذا القصر، وهي أكبر سنّاً من الملكة عالية، وكان من المفروض أن تتزوّج هي من الملك غازي، لكنها تبدو - إلى حدّ ما - ساذجة، لهذا؛ أصبحت عالية هي الملكة. ويسكن بقية أفراد العائلة المالكة في قصر الرحاب القريب؛ حيث يعيش أخو



قصر الزهور من الجو

الملكة، الوصيّ عبد الإله، وزوجته، وكذلك أُمه، وهي أم الملكة، أرملة الملك علي ملك الحجاز، إضافة إلى الأميرتين الصغيرتين؛ ست بديعة وست جليلة، خالات الملك فيصل الثاني. ولم يكن للوصي أي طفل.

بنى الملك فيصل الأول قصر الزهور بملامح سويسرية(*)، فهو كان يقضي أوقات طويلة في سويسرا، لهذا؛ كان القصر غريباً بعض الشيء، رغم أن بعضاً منه كان طرازاً شرقياً، مثل السطوح المفتوحة؛ حيث اعتاد أفراد العائلة المالكة الجلوس في المساء. ويحيط بالقصر حدائق كبيرة غنّاء، مزهوة بالأزهار والورود والبنفسج. ربما كانت الورود مزدهرة، لكن أشجار الفاكهة الإنكليزية المستوردة لم تكن كذلك، أما أشجار البساتين في خلف القصر؛ فكانت كالغابة، نمت بدون رعاية، في ثناياها - ربما - انبثقت بعض أشجار التفاح النحيفة، أو أشجار الأجاص المتلبّصة. على العكس من واجهة القصر؛ حيث امتدت أشجار اليوكاليبتوز المتناسقة الجميلة بأغصانها الكبيرة وأوراقها الباسقة؛ لتعطي تلك الظلال الفسيحة، وتريح العين من لهيب أشعة الشمس الحارقة.

كان فناء القصر مُخيّباً لي، فقد استورد الأثاث من محلات «مابلس» اللندنية الشهيرة، فكأنما كنتُ في قصر كبير من قصور بريطانيا، ربما عدا الببغاوات الرمادية الأربعة الجاثمة على متكئ شاهق في الممرّ. كان لفيصل جناحه الخاص المبرّد في الطابق العلوي، وهذه الغرف هي الوحيدة في القصر

* صُمّم قصر الزهور المعماري البريطاني هارولد ميسن سنة 1932، الذي انتُدب للعمل في العراق مع جيمس ويلسن منذ سنة 1921، لتصميم معظم المباني الحكومية، بضمنها الكلية الطبية والمحطة العالمية، وغيرها.

مبرّدة بطريقة عصرية حديثة. كان القصر تحت إدارة ورعاية السيدة السويسرية فاغنر، التي جاءت في زمن الملك فيصل الأول على ما أظن، وكان لوجودها فائدة كبيرة. وهي - بالإضافة إلى واجباتها التقليدية - كانت ترعى عدداً من الفتيات الأيتام، بنات لشرطي، كان قد قُتل أثناء الواجب، وكان هؤلاء يعيشون في القصر، وينامون على السطوح. (في أيام الطقس الحار، كنتُ أنا أنام كذلك على السطوح). وحيث إنها تتحدث العربية، فكانت ذات فائدة كبيرة في الترجمة. رغم هذا، كان هناك جناح في الطابق العلوي شرقياً بامتياز، تقضي فيه سيدة أرمنية يومها في حجرة، تحضر أقداح الشاي الزجاجية الصغيرة، وفناجين القهوة التركية المحلاة؛ حيث اعتادت خالات الملك فيصل، الأميرات، قضاء معظم الأوقات في قراءة الطالع في فناجين القهوة، لمعرفة حظوظهنّ في الزوج وأحلام الزواج، رغم إدراكهن أن التقاليد الإسلامية تمنعهم من الزواج بالغرباء من غير أبناء العمومة ومن سلالة الرسول.

كان الملك فيصل في سنّ الخامسة من عمره، وهو - بالإضافة إلى إجادته اللغة العربية - يتحدث الإنكليزية بطلاقة، لكنه كان متخلّفاً جداً من الناحية البدنية، لم يركض في حياته، ولا يستطيع المشي لأكثر من عشرين ذراعاً دون أن يجلس ويلهث. لم يكن يستطيع الملك نفض أنفه، ولم يضع يوماً ملعقة طعام في فمه. ينام في سرير بسياج متحرك، ويجلس على كرسي الحضانة المرتفع عند الأكل: ويُحمَل على الدوام في صعود وهبوط السلالم.

من خلال تجربتي في مدرسة والدي، كنتُ على دراية في قدرة وإمكانية الأولاد في عمر فيصل، حين كان يأتي الأطفال الذين قضوا

السنين الأولى من حياتهم في الهند أو في ماليزيا؛ حيث يشتغل آباؤهم، فبسبب معاملة الخدم لهم كـ «السيد الصغير» لم تتطور قابليتهم البدنية. فأدركت أن فقدان فيصل للمهارات البدنية يعود للطريقة التي تربّى عليها. فلم يكن هناك نظام صحّي مناسب يسير عليه، كانت ولادته عسيرة، فرافقتْه المُمرّضة الآنسة بورلاند منذ ولادته، وتفرّغت لرعايته إلى اليوم، لكنها كانت تعامل ابن الخامسة كأنه في العام الأول أو الثاني من عمره. من الطبيعي أن تحب الملكة عاليةُ ولدَها، وتريد له الصحة والسعادة، لكنها كانت تبالغ بالاستماع إلى نصائح مُمرّضة الولادة، خصوصاً في هذه المرحلة المتقدمة من عمر فيصل. ففي وقت الطعام، كان يجلس فيصل بين الملكة والآنسة بورلاند، ويحاول الاثنان وضع ملعقة الطعام في فمه. انزعجتُ جداً من طريقة حياة فيصل وحالته البدنية، وقرّرتُ أن أغيّر كل هذا. وكم كان رائعاً استجابة فيصل لذلك.

3

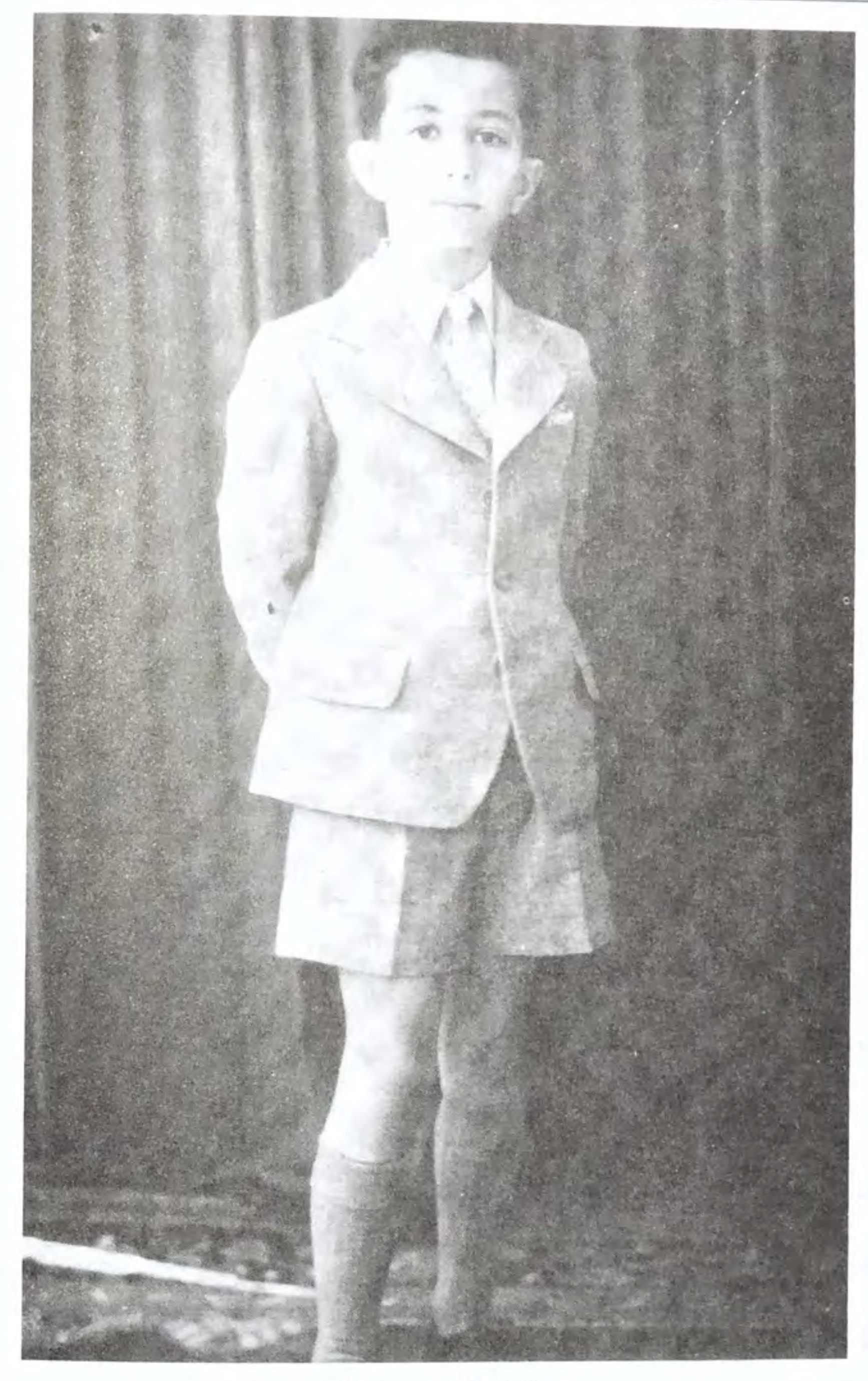
مع فيصل

لـم تكـن الجـولات النهريـة بالـزورق الملكـي فـي نهـر دجلـة أو بالسيارة فـي شـوارع بغـداد ممتعة لفيصـل في بـادئ الأمـر. تجابهتُ مع الصبـي الصغيـر لأول مـرة حيـن كنـا في الـزورق. فـي لحظة ما، استـدار فيصـل إلـى آمر الحـرس الملكـي، عبد الوهـاب بـك(*)، ليخطـف قبعته، ويرميهـا فـي النهـر، فانزعج عبـد الوهاب لذلـك، بينما كان فيصـل يتطاير فرحـاً. بـذل الحـرس جهود مضنيـة لاسـترجاع القبعـة، بينمـا كان فيصل مسـتمتعاً بالضحـك. ورفـض فيصل أن يعتـذر إلى عبد الوهـاب، فأخبرته بأنـه سـوف لـن يشـاهد فلمـاً هـذا المسـاء (لقد اعتـاد فيصـل مشـاهدة الأفـلام، عـادةً الأمريكيـة، فـي كل ليلـة)، فـأردف بـكل هيبـة: سـنطلب إحضار الفلم إلى الزورق.

عند التجوال بالسيارة في المدينة، كان فيصل يتحيّن الفرص لتحية الناس بطرائق غير معتادة أحياناً، ففي مرة، كان قد ملأ مسدس الماء بدون معرفتي، وأطلق رشّة ماء على حرس الجسر القريب من القصر، ثم رمى نفسه في أرضية السيارة، ليبدو كأنما أنا صاحبة الذنب.

---

* هو عبد الوهاب عبد اللطيف السامرائي.



جلالة الملك فيصل الثاني

أما «النزهات الإنكليزية»، كما تسمّيها الأميرات؛ فكانت هي التجوال في العراء خارج أسوار القصر بصحبة عبد الوهاب بك، آمر الحرس ومرافق الملك مع اثنين من الجنود. كان على فيصل أداء التحية الملكية للحرس الملكي عند الخروج من بوابة القصر. ويصحبنا في النزهة - دوماً - كلب صغير لفيصل، يُدعى «يامي»، وكذلك كلبة عائدة للملكة عالية، تُسمّى «روزا» كُنت أُسلّي فيصل بما يفكّر به «يامي»، وما يقوله. فيردف: ماذا يقول «يامي» الآن؟ فيقف عبد الوهاب مستغرباً وحائراً في الأمر. كان من المحتمل أن تختلط الكلاب مع بنات آوى في البراري، وتُصاب بمرض داء الكَلَب، فحين عُثر على رفات لبنات آوى، وأُرسلت الجماجم للفحص، تبيّن أنها مصابة بداء الكَلَب.

في بعض الأوقات، كنا نخرج إلى البراري على ظهور الخيل، لكنْ؛ لم يكن مفيداً لفيصل أن يمتطي فرساً صغيراً مقاداً من قِبل سايس. لقد أهدى الجنرال هورثي من هنغاريا فرسين بوني(*) إلى فيصل، فكان منظرنا غريباً بعض الشيء عند الخروج، فالملك يمتطي فرساً قصيراً سميناً مع السايس، إضافة إلى عبد الوهاب بك والحرس (بعض الأحيان ثلاثة جنود)، ومعهم سري الخادم، يحمل الترمس بالماء البارد، ثم أنا والكلبان «يامي» و«روزا»، وأحياناً كلاب أخرى من القصر. سري هو شاب أفريقي ذو **14** عاماً، كان - على ما يبدو - خادماً للملك. وحين بدأت أفهم بعض العربية، أحسستُ أن محادثاتهما لم تكن مناسبة لطفل بعمر خمس سنوات.

* بوني Pony هو فرس قصير ممتلئ.

كان فيصل - وكذلك مجموعة الحرس - يتمتّعون للغاية في لعبة الكريكت، أو كرة القدم، في ساحة التنس في حدائق القصر. وبعد رجوعنا من رحلتنا إلى المنطقة الجبلية، تعلّم فيصل - كذلك - السباحة. وقد شرعنا بتعلّم القفز والرقص (لم يخبرني أحد بأن الرقص لا يجوز في التعاليم الإسلامية). وكان فيصل يستمتع بسماع الموسيقى الإنكليزية، وخصوصاً أغنية «غنّى الحمار» (من أحد الأفلام السينمائية سنة 1938)، ويطلب مني الرقص على بعض تسجيلات الأنغام العربية، ويستغرق في الصراخ والضحك حين ندور سويةً في الرقص. كما يغصّ في الضحك عندما يُطلق العنان لفرسه، فتسرح منطلقة، وتقفز في جنون.

لحسن الحظّ، كان فيصل ذكياً، وله رغبة فائقة في التعلّم والتمتّع في طريقة حياته الجديدة. ولاحظتُ أن له القابلية في التأقلم والتّكيّف بسرعة في صداقات جديدة، وكانت علاقتنا جيدة منذ البداية، فسهّل لي هذا التغلّب على العديد من العقبات التي واجهتْنا.

كنا نرى الأميرات في كل يوم : فإما يأتون هم لزيارتنا، أو نقوم نحن بزيارتهم. وعادة ما كانت زيارتنا إلى قصر الرحاب تتم عند برودة الجو في المساء؛ حيث يُستقبَل الطفل الصغير بحفاوة من قِبل خالاته وخاله وجَدّته، لكن جَدّته كانت لها شكوكها حولي، فتضع قطعة من قماش في داخل قميص فيصل، ليمتصّ أيّ تعرّق من جسمه، بسبب التمارين والإجهاد الذي تُسبّبه المُربّية.

أتذكر فيصل جيداً حين رأيتُه لأول مرة، وما زلتُ أتساءل: لماذا لم يُعامَل بطريقة معقولة؟! توفي الملك غازي قبل عام، وكان فيصل قد بلغ

الرابعة من عمره، مع هذا، لم يكن الملك غازي قد وضع أي شيء لتربية وتأهيل ابنه. ربما تبع العادة العربية بترك تربية الأولاد إلى النساء في السنين الأولى من حياتهم.

في الحقيقة؛ إن غازي - على العكس من فيصل - لم يكن يحب البريطانيين، وربما لأنه طُرد من كلية هارو، ساعد على ابتعاده عن حضانة فيصل التي كانت تحت إشراف الآنسة بورلاند. أما الملكة عالية، ولم تكن سعيدة في طريقة حياة زوجها الصاخبة؛ أصبحت خانعة لإرشادات وتعاليم المُمرّضة حتى في كيفية تربية ابنها. كان فيصل ينام في الغرفة نفسها مع المُمرّضة، ولم يكن بمقدور الملكة المسكينة حتى أن تقول لابنها : تُصبح على خير، حتى أخبرتها أن هذا ليس - فقط - سعادة لمعاليكِ، إنه واجب عليكِ.

فوق كل هذا، لم يكن فيصل - فقط - الطفل الوحيد لهذا الزواج، وإنما كان ملكاً. فالقصر وكل مَن يسكن فيه وكل مَن يعمل فيه يعتمدون على وجود فيصل. وكونه ملكاً هو غاية بذاتها، وحمايته لها أهمية كبرى، ويجب تجنّب وإبعاد أيّ إيذاء بدني، فقابليته البدنية والعقلية كأنما غير مهمة. فالملكة تومئ برأسها عندما ترضى على شيء، وتقول له: «لا، لا»، أو توشش بشيء عند عدم الرضى.

كانت السيدة همفريز على علم بالمشاكل والصعوبات التي تواجهني، وأعطتني الكثير من الدعم والتشجيع، وكنتُ ممنونة لدعمها ورعايتها. وبالرغم من تركها بغداد والعودة إلى إنكلترا، كانت تراسلني على الدوام.

4
الرحلة إلى السليمانية

في صيف سنة 1940، أي بعد عدة أسابيع من وصولي إلى بغداد، ذهبنا في رحلة إلى مدينة السليمانية في جبال كردستان. لم تكن تلك المناطق كالمناجع الجبلية التي رأيتُها سابقاً في الهند، فليس هناك شيء سوى البيوت. لكنْ؛ كان هواء الجبال النقي مفيداً للصبي الصغير، فأصبحت أطرافه أقوى في المسير. كان في الرحلة - إضافة إلى العائلة المالكة - كلّ من الطبيب سندرسون وزوجته، والآنسة بورلاند، وجمع من الخدم، بينهم كان السايس الكردي محمد علي.

لم تكن غُرف البيت الذي خُصّص لنا معزولة، بل قاعة كبيرة ممتدة، يصعب فيها إعطاء أيّ دروس لفيصل بحضور الجميع، وبسبب الجوّ الحارّ، لم يكن ممكناً حتى في هذه المناطق المرتفعة من الخروج قبل الساعة الرابعة والنصف. (كان ممتعاً خروج الأميرات في بعض الأحيان معنا للتّنزّه في المساء).

شعرتُ بحاجتي إلى خلوة وحدي، فكنتُ أفتقد زيارتي إلى نادي العلوية في بغداد، فخرجتُ عند الساعة الرابعة والنصف صباح أحد الأيام

في جولة على ظهر الحصان للقرى الكردية المحيطة. كان محمد علي - السايس الكردي - مغتبطاً لمرافقتي في جولتي، مستمتعاً بأحاديث الصباح، وتناول الفطور مع الشيوخ. قدّم لي أحد الشيوخ لبناً ممزوجاً بالثلج المخزون من الشتاء الماضي في مستودع تحت الأرض. ارتشفتُ اللبن في ملعقة خشبية كبيرة كانت مُنعشة ومُمتعة، رغم أنها - على ما أظن - غير صحّيّة. ولم أكن أرى من النساء إلى نادراً.

يبدو مظهر الكرد رومانسياً في عمامتهم المزركشة وبناطيلهم الواسعة المربوطة عند الكاحل، مع خناجرهم المحجورة في الأحزمة. وقد دُهشتُ عندما رأيتُ بعض الكرد عيونهم زرقاء، وعلمتُ - بعدها - أنهم من أصول هندو - أوروبية.

من السليمانية، يَنقل الكرد على ظهور الحمير أنواعَ الأعناب واللوز والمشمش، وكذلك التتن في رحلة ثلاثة إلى أربعة أيام للوصول إلى أربيل. وأربيل هي أربيلا القديمة من أقدم التّجمّعات السكانية والحضرية في العالم. طلب مني أحد الأكراد أن أتوسّط لدى الوصيّ لأحد القرويين صدر فيه حكم بالإعدام، للأسف، لم أنجح في ذلك، أجابني الوصيّ أنه لا يستطيع التّدخّل في هذه الأمور.

بعد أن قضينا شهرين في السليمانية، طُلب مني أن أُرافق زوجة الوصيّ(*) بالطّيّارة إلى بغداد. ذهبنا إلى قصر الرحاب، ثم غادرتُ إلى بيت أحد الأصدقاء الذين التقيتُهم سابقاً في النادي، وهما السيد والسيدة

* هي زوجة الأمير عبد الإله الأولى المصرية ملك فيضي.

كابران، كانا يعيشان في بغداد منذ سنين عديدة. طلبتْ مني زوجة الوصيّ أن أزورها في اليوم التالي، لكنْ؛ حين وصلتُ إلى القصر في الصباح، كانت قد غادرت بالطائرة إلى مصر مع أحد المرافقين، وعند وصولهم إلى القاهرة، أخبرها المرافق بأنه تمّ طلاقها من الوصيّ. ربما لأنها لم تحمل بأيّ طفل له، ناهيك عن رغبته بصبيّ.

في الوقت القصير الذي رأيتُها، كنتُ قد أحببتُها، وكنتُ أود معرفتها أكثر، فكنتُ أشعر بمأساتها، فحياتها كانت بائسة في قصر الرحاب، وهي - دائماً - في عزلة وحيدة، وتُعامَل بازدراء، خصوصاً من حماتها.

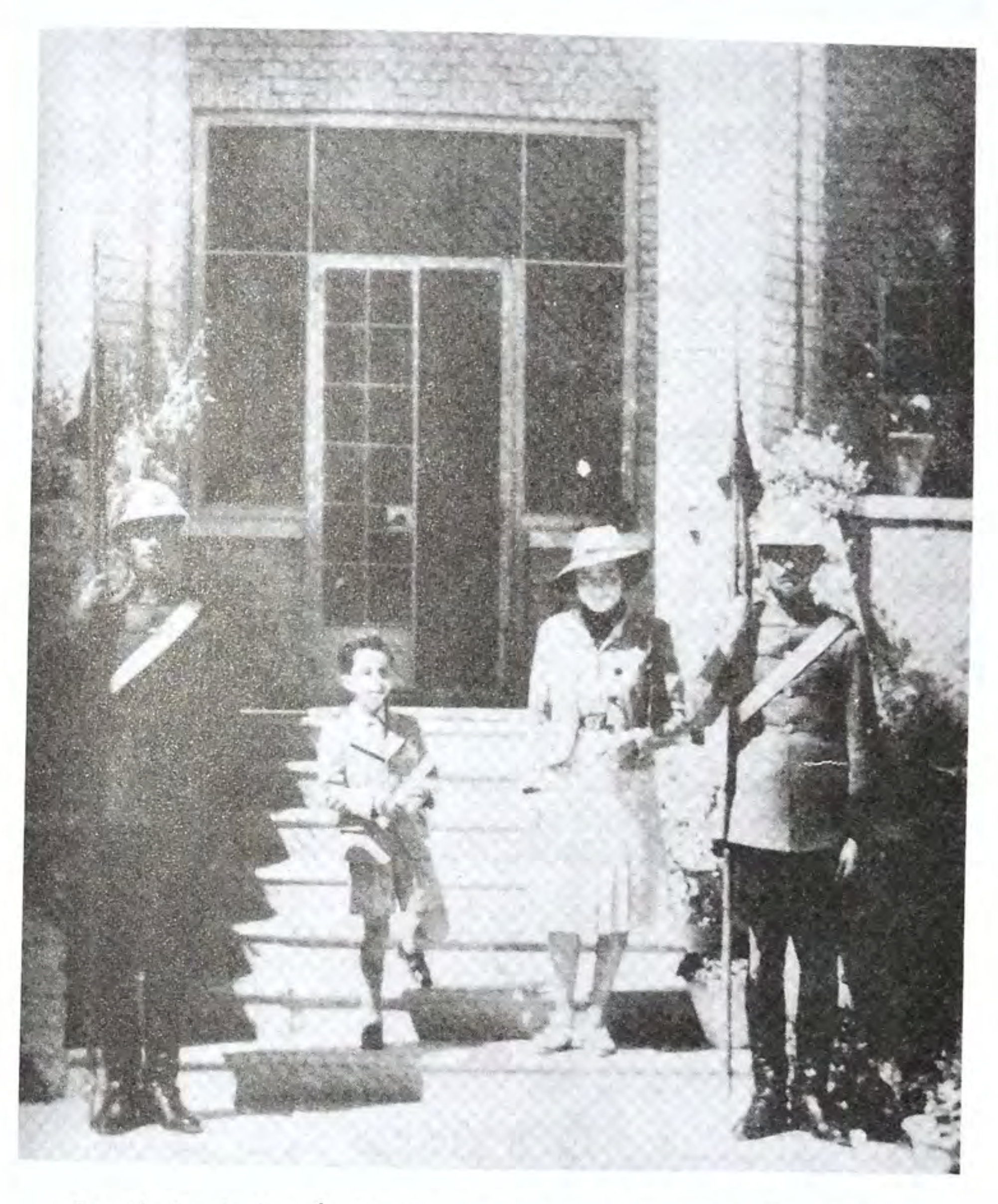
لم يكن الوصيّ - كما أتذكر - متأسفاً لهذا الطلاق، ففي الأحيان النادرة التي رأيتُهما سوية لم أشعر بأي مودّة بينهما.

بعد عودتها إلى مصر، عادت لها حريتها متمتعة بسيارتها ويختها النهري. وربما حالفها الحظ في ذلك، فلولا طلاقها لما كانت لتنجو من مذبحة سنة 1958 التي قُضي فيها على عبد الإله وحاشيته.

5
التقدم في تعليم فيصل

بعد عودتنا من رحلة الشمال، لم تعد الحياة في قصر الزهور كالسابق، فأصبحت المعوقات أمام تطور وتعلّم فيصل أقل وأبسط. فلم يعد العبد سري يرافقه، والأهم من هذا، بدأت المُمرّضة تشعر بأن فيصل ليس تحت إشرافها، كما كان، والأهم من هذا وذاك هو التّحسّن المهمّ في فيصل ذاته، فأصبحت قدرته البدنية أفضل بكثير. كان ممتعاً أن نرى فيصل أكثر نشاطاً وحيوية، ممّا دفعنا لإعداد المزيد من الدروس له. كان فيصل - بالطبع - مازال صغيراً، فحين يركب طائرته الذهبية (درّاجة هوائية على شكل طائرة) يُسارع على طول الممرّات في القصر ظناً منه أنه بزيادة سرعته سيمكنه من الطيران. فكان يبذل جهداً كبيراً لذلك، فأقنعته في إحدى المرات أن دواليب الطائرة قد ارتفعت - فعلاً - عن الأرض لبعض الوقت.

بدأ فيصل بدروس القراءة قبل الرحلة إلى الشمال، لكنْ - الآن - أصبح يقرأ بدون صعوبة. وأصبح فيصل يحبّ أن تُقرأ له القَصص، وخصوصاً قصة «أليس في أرض العجائب»، ومثل رغبته ومثابرته في إقلاع طائرته كان متحمّساً لدروسه، ولحسن الحظ في هذا أمل أفضل للنجاح للحاضر والمستقبل.



الملك فيصل مع المربية بتي موريسون في زيارة إلى أحد المباني الحكومية

وجدتُ أن هناك حوضاً للسباحة في حديقة القصر، فأقنعتُ الملكة بتنظيفه وتأهيله للسباحة. بالطبع؛ كان هذا ممتعاً جداً لفيصل، فتعلّم السباحة بشكل جيد في فترة ستة أسابيع، مبدياً شجاعة عالية في إتمام ذلك. ممّا جعل الملكة فخورة جداً به، وأبدت خالاته الأميرات سعادة كبيرة في مراقبته من شرفات القصر. بالطبع؛ لم يمكن أن أدع فيصلاً يسبح وحده، فكان عليّ خلع معطفي، والولوج في الماء بسرعة قبل أن يرى أحدٌ أطرافي وسيقاني العارية.

أُخبرت في أحد الأيام بأن السفير البريطاني، السير بازيل نيوتن، يرغب في الزيارة ورؤية فيصل، وهو يسبح. جرت العادة في مناسبات زيارة شخصيات مهمة أن تقوم الآنسة بورلاند بإظهار إشرافها على الملك، لكنْ؛ حين وصل السير بازيل نيوتن ومرافقه وكذلك الوصيّ، وأبدوا رغبتهم بمشاركة فيصل في السباحة، كنتُ مُصمّمة على أن لا أترك فيصل بعيداً عني، لقد أصبح فيصل مغامراً بعض الشيء في الماء، ولم تكن لي ثقة بقابلية كل من الوصيّ أو السفير في الإنقاذ من الغرق. فقرّرتُ أن أنزل إلى الحوض، وأبقى تحت الماء على قدر الإمكان احتراماً للتقاليد الإسلامية، فوالدة الوصيّ وأخواته يراقبن من أماكن مخفية من بعيد.

أصبح فيصل لا يخاف الماء، ويقوم بالغوص تحت الماء مشبّهاً نفسه بالغوّاصات الحربية، رافعاً أحد أصابعه فوق الماء؛ لتُمثل منظار الغوّاصة.

في تلك الأثناء، شعرت أنه - ربما - من الأفضل أن يشارك فيصل صحبة مجموعة من الأطفال، كان لابد من أن يشاركهم اللعب، وأيضاً كان

يجب أن نمنحه الفرصة أن يخالف ويختلف معه من أطفال في مستوى عمره. كانت الملكة عالية تهتم كثيراً في شؤون ابنها، فوافقت بشدة على حضور بعض الأطفال إلى القصر لمشاركة فيصل أوقاته، والغداء معه. فكّرتُ أن يكون الأطفال عراقيين رغم صعوبة ذلك، بالنسبة لي، لعدم معرفتي اللغة العربية.

كذلك كان الوصيّ يهتم بفيصل وتعليمه، في بعض الأحيان؛ كنتُ أسأله إذا كان هناك مواضيع تاريخية معينة تناسب ذهنية الملك الصغير (وعلى الغالب كان الأمر معكوساً، فالوصيّ كان يطلب نصيحتي بين الحين والآخر في بعض الأمور، ومنها السياسية التي لا أفهم منها شيئاً).

لم يكن يُسمح لفيصل الاختلاط في السابق مع الأطفال، فكان رائعاً أن نرى فيصلاً يغتبط بالسعادة حين يرى الأولاد يشاركونه الاستمتاع بالنكات والضحك، وكان متماسكاً بشكل فائق. في الألعاب الكروية كان لفيصل موهبة فطرية جيدة، هذا إضافة إلى مساعدة الحرس الذين يحيطون به. كان الجنود يتمتّعون في لعبة الكريكت وكرة القدم، ولهم موهبة ومهارة جيدة في اللعبة، فكانوا يُعطون فيصلاً تدريباً وتمارين جيدة. كان عبد الوهاب بك يراقب فيصل في اللعب، ويبدي عطفاً كبيراً له، فمع كل حركة يقوم بالتصفيق له، وكذلك الملكة كانت شغوفة بمراقبة نجاح فيصل في المشاركة في السباقات التي كنتُ أُنظّمها مع الأولاد حين كانت تنظر من شرفات القصر. ورغم أني كنتُ أحاول أن أعطيه السبق في تلك السباقات، إلا أنه سرعان ما يُغلَب، ويأتي آخر المتسابقين. بعد انتهاء تلك المسابقات،

قالت الملكة لفيصل: «فيصل، كنتُ أرى السباق من الشرفة، لا تهتمّ بما قالت المُربّية الإنكليزية بأنك كنتَ أخيراً في السباق، كنتُ أرى أنك الفائز الأول». أجاب فيصل: «لا، ستي، لم أكن أولاً في السباق، كنتُ الأخير، وأنا لا أهتم لذلك، بل أنا أحب أن أكون الأخير». أتذكّر أن أحد الأولاد الذين كانوا يأتون هو نيفيل ريفينسديل، ابن نائب القنصل البريطاني، وفتاة صغيرة دائمة الحضور، جيليان ستاسي، ابنة طبيب.

6
الأميرات

يُتاح لي الذهاب إلى نادي العلوية في عصرية كل ثلاثة أيام؛ حيث ألتقي بعض الأصدقاء الإنكليز، ونستمتع بالسباحة وبرياضة التنس. لكن الذهاب من القصر إلى هناك، كان لي معضلة، فإما أن يصلني السائق السوداني، وعليّ منحه بخشيشاً عالياً، أو عليّ سياقة السيارة ذات الثلاث عجلات التابعة للقصر. هذه المركبة تعمل على خليط من الدهن والبنزين، ولا يعرف أحدٌ النسبةَ الصحيحةَ للخلط، لهذا؛ لم يكن من السهل الوصول بها إلى بغداد، إضافة إلى صغر حجمها، والمضايقات من راكبي الدرّاجات الذين يدّعون عدم رؤيتهم لي. وقد أُنقذتُ من هذه المحنة باستعارة سيارة بنتلي من الصديق تيد ميد الذي يعمل في مديرية الري. تيد هذا مغرم بالسيارات؛ حيث تكتظّ داره بالغريب والعجيب منها. وكان تيد الذي يجيد التحدث باللغة العربية، لا يحب معاشرة الإنكليز، وهو يشمئزّ من أحاديث نادي العلوية، خصوصاً بعض السيدات هناك.

كانت مبعث ارتياح لي رؤية تمتّع الملك فيصل بحياته، وتحسّن صحّته البدنية، إضافة أنه كان من المهم جداً بالنسبة لي قرب نادي العلوية

وسهولة الوصول إليه. لكن تمتّعي بتلك الحرية النسبية، جعلني أتعاطف بشكل كبير عندما أفكّر في الأميرات، فحياتهم ليست سوى الجلوس في القصر، أو على السطح. ففي خلال السنتين التي قضيتُهما هناك، لا أتذكّر سوى مرة واحدة، ركبوا الدراجات الهوائية في باحة القصر، ولم أراهم -ولو لمرة واحدة - يستحمّون في حوض السباحة، في الحقيقة، كان من غير المعقول الكشف عن سيقانهم وأذرعهم، تحت صرامة التعاليم الإسلامية، رغم أنهم تربّوا على يد مُربّية بريطانية، الآنسة لوسي - سميث، وكانوا يتحدثون ويقرؤون باللغة الإنكليزية، وخصوصاً الأميرتان الأصغر بطلاقة. ولم يكن من الصعب عليهم المشاركة والتمتّع في الفرصة المتاحة لهم في العالمين العربي والغربي كليهما إلى أقصى حدّ، لو كانوا قد حصلوا على معرفة أفضل وأوسع في التاريخ والأدب العربي، لتوسّعت اهتمامتهم بدلاً من قراءة الطالع في فناجين القهوة.

ورغم دراستهم الإنكليزية، كان من المستحيل مشاركتهم في فعاليات ونشاطات نادي العلوية، فطبقاً للتعاليم الإسلامية كان عليهم لبس السواد، فهم مازالوا في الحداد على موت الملك غازي، رغم أن ملابسهم السوداء كانت على الطراز الغربي، ومن أحدث الموديلات.

في إحدى المرات، خرجت الأميرات إلى السينما في بغداد، طبعاً، خرجن بالعباءات. والعباءة هي غطاء أسود اللون، كان ترتديه حتى العائلات الأرستقراطية في ذلك الوقت في الأربعينيات. وعلى رغم من هذا التخفّي بالعباءات، فقد وصلت أخبار هذه المغامرة إلى أسماع عمّ الأميرات الأمير عبد الله ملك شرق الأردن، الذي أصبح - بعد وفاة الملك

علي - كبير العائلة الهاشمية؛ حيث أبدى امتعاضه ممّا حدث. وعلى ما أظن، أبدت الأميرات تفهّماً لموقف الأمير، تبعاً لتقالديهم الدينية، وإدراكهم أنهم من سلالة الرسول. فكنتُ حين أحاول التحدث معهم عن تلك التقيّدات والالتزامات في حياتهم، كان جوابهم، نعم، ندرك تلك الصعوبات، لكنْ؛ علينا أن نتذكّر أننا نحن من سلالة بيت الرسول، وعلينا القناعة بذلك، والفخر. وكما أسلفتُ، كان لابد من أن يكون أزواجهم من سلالة الرسول كذلك، ولسوء الحظ، لم يكونوا يرغبون بالزواج من أبناء عمومتهم في الحجاز، فيعدّونهم غير متحضّرين. وكان أخوهم الوصيّ قد أخبرهم أنهم - على الأقل - يمكنهم النظر إلى وجوه العرسان قبل زواجهم. يا لتعاسة هؤلاء الأميرات، في حياة جلّها في القصر! كنتُ مسرورة جداً بجلب بعض الكتب لهنّ من المكتبة، كلما خرجتُ إلى بغداد. لكنْ؛ كما هو حال كتب الأطفال، لم يكن هناك الكثير من كتب الروايات للبالغين باللغة العربية، فكانت الأميرات، عابدية، وبديعة، وجليلة، يطلبن كتباً باللغة الإنكليزية.

كانت المشاكل والصعوبات التي تواجه الأميرات تلك مشاكل خاصة بهن، ولا تشكّل - على الأرجح - أي تأثير على الآخرين، لكن أي أخطاء في تربية فيصل قد تُشكّل كوارث على البلد. فما حدث مؤخّراً من موت مفاجئ للملك غازي، وانشغال البريطانيين في الحرب في أوروبا، لم يكن هناك من شخص مناسب في المكان المناسب للاهتمام بفيصل. لم يكن هناك شخص واع، وله السلطة والمسؤولية للأخذ بمستقبل العراق. كان لهذا الملك الصغير إمكانيات استثنائية وكبيرة واضحة، من

المؤسف أن تذهب سدىً. كان يجب التفكير ملياً بأن هذا الصبي عربي، وسيكون ملكاً لدولة عربية، فمن الأفضل والأرجح له قيام علاقات صداقة مع أقرانه من الأطفال العراقيين، وكان على السفارة البريطانية أن تعطي المشورة بهذا الخصوص، بالرغم من الظروف الصعبة في ذلك الوقت. كنتُ أبحث عن نصائح، الأمير عبد الإله الذي أصبح الوصيّ، كان يبدو لي جاهلاً في تلك الشؤون، إلى الحدّ الذي كان يطلب مني المشورة. أتذكّر حادثة واحدة على الأقل في تلك الفترة، عندما ارتدى فيصل الدشداشة والعقال (بعدما بذلتُ الكثير من الجهد في إقناعهم) ليأخذ صورة بذلك اللباس العربي.

ربما كانت السفارة تظن أن الملكة هي التي تهتمّ في شؤون وتعليم فيصل اللغة العربية، لكن الملكة - في الحقيقة - تركت الأمر بشكل كامل إلى المُمرّضة والدكتور سندرسون، اللذين تحكّما في حياة فيصل تبعاً لمآربهم الشخصية. فالدكتور سندرسون هو الذي نظّم جدول الأوقات لفيصل، ولم يضع له أي وقت لممارسة الرياضة. وكان من الممكن للسفارة أن تعرف الحقيقة، وبسهولة، لو اهتمّت قليلاً بذلك. ليس - فقط - حُرم حفيد الملك فيصل الأول من التعلّم والقراءة باللغة العربية، بل عُزل في ذلك القصر عن عالمه ومحيطه. أيّ شخص متّزن كان يجب أن يدرك مخاطر هذا الانعزال للطفل. لم أعرف، ولا أعرف حتى الساعة، لماذا تصرّف كلّ من المُمرّضة والدكتور سندرسون بهذه الطريقة. قد لا نتوقّع من مُمرّضة الولادة أموراً تتجاوز حدود وظيفتها المريحة، لكن بعض الحكمة والنباهة تقع على طبيب السفارة (والذي أصبح فارساً فيما بعد!).

هذه النشاطات التي بدأ فيصل يتمتّع بها الآن، بدأتْ تكسر طوق عزلته، وكان الخروج من محيط القصر والالتقاء ومشاهدة الناس الذين يعيشون في خارج القصر، واجه - بعدم الرضى، وإلى حد ما - امتعاضاً، ولم يكن ما أقدمتُ عليه سهلاً. لكنْ؛ كانت الملكة سعيدة جداً بهذه النشاطات الجديدة التي يقوم بها فيصل، وكان هناك آخرون يعاضدوني، فقد كتبت لي السيدة همفريز في إحدى رسائلها: « شكراً لله، ربما سيكون (فيصل) جديراً بأنه حفيد لجَدّه». على الأقل؛ كانت تفكّر بمستقبل العراق.

7
الحياة في القصر

كان الجميع يحضر إلى صالة الطعام بشيء من الترتيب والنظام، عدا فيصل، الذي أصبح - الآن - في الخامسة من عمره، فهو مشغول بالطيران في ممرات القصر حتى يصل إلى غرفة الطعام مسروراً بطائرته، إنْ كان أولاً أم آخراً. المُمرّضة كانت متردّدة في فسح المجال للقادم الجديد، لهذا؛ كنا في شيء من السباق، وغالباً ما نصل في الوقت نفسه ، أو بفارق ضئيل، فوقت الطعام كان لنا متعة.

فحين يُعلَن عن وقت الطعام، تهبط الملكة من سلالم المرمر، تتبعها الكلبة روزا، ثم تأتي الأميرة الكبرى عابدية مع أي ضيف، إن وُجد، والوصيفة، وربما اثنان آخران؛ ليكتمل السباق.

يتم تهيئة الطعام لحوالي عشرين شخصاً، فتُوضع الصحون والملاعق المجهّزة من محلات مابلس، والتي تحمل علامة التاج الصغيرة، ويُهيّأ من الطعام ما يكفي لعشرين فرداً في الغداء والعشاء، وعندما تنتهي العائلة والضيوف من الطعام، يُؤخذ الباقي إلى منضدة في خارج الغرفة، فيتقدّم الخدم في انضباط صارم حسب الأقدمية

إلى الطعام، وأظن أن مربّي الكلاب - وهو الأخير - لا يحصل سوى على النزر اليسير ممّا بقي.

قلقتُ حين وصلتُ أول مرة، لأن فيصل لم يكن يشرب الحليب، على الرغم - حسبما علمتُ - أنه تم استيراد بقرتين إنكليزيتين خصيصاً له. ولم يكن ذلك لأنه لا يحبّ الحليب، فقد طلبتُ قدحاً من الحليب؛ ليُقدّم له في خلال فترة الاستراحة الصباحية في صفّ الدراسة، وجعلتُه يشربه.

عند الغداء، كان فيصل يجلس بين المُمرّضة والملكة، ولأنهما يطعمانه كان يجد صعوبة في الحديث، لكنْ؛ مع هذا، كان يتحدّث عما درسه في صباح ذلك اليوم. فيسأل خادمه السوداني، عبدو، إذا كان هناك أربعة صفوف من الكراسي، وهناك خمسة كراسي في كلّ صف، كم هو عدد الكراسي؟

في إحدى المرات، حين قدم مجموعة من الأطفال على الغداء، وتناولوا بعض الفاكهة، كانوا يلعبون في نوى الفاكهة حدرة بدرة، وكلّ يختار ما يريد أن يكون حين يكبر. سأل أحد الأطفال الملك: «ماذا تود أن تكون حين تكبر، يا فيصل؟» فلم يدرك الطفل أن فيصلاً، ليس له - في الحقيقة - أيّ خيار، أجاب فيصل - بعناية وبكل أدب - «طياراً، أو ربما سائق سيارة».

في إحدى الأمسيات، عملنا نزهة طعام في «القصر الصغير»، المكان الذي اعتاد الملك غازي إقامة حفلاته الباذخة، فقدّمت للأطفال

لعبة الختيلة، فكانت متعة لهم رغم حرارة الجو. حين كان فيصل يؤدي دوره ببطولة في القبض على المختبئين، كان الطفل الأخير الباقي هو نفيل يتحيّن الفرصة؛ لينطلق نحو الهدف معتمداً على سرعته الفائقة للخلاص من فيصل، لكنْ؛ ما إن اجتاز الطفل نفيل لفيصل، تعمّد المرافق عبد الوهاب الوقوف في طريقه ممسكاً به مخاطباً فيصل: « تعال، سيدي، وأَمْسِك الصبيّ؛ لتفوز». كان هناك لحظة صمت وذهول، ثم صرخ الطفل نفيل: «هذا ليس عدلاً، أيها العجوز، نحن لا نعمل هكذا في إنكلترا»، ثم طلب نفيل من فيصل أن يقول له ذلك. تقدّم فيصل إلى مرافقه عبد الوهاب، الذي كان فرحاً بما قام به، فأحسستُ على الفور ما أصاب عبد الوهاب، فلم يكن هناك حاجة للترجمة، حين رأيتُ عبد الوهاب يفشّ كالنفّاخة المثقوبة، وببطء، فمرّت عدة دقائق كنا نتحاشى أنا وعبد الوهاب النظر في عين الآخر من الخجل.

8
خارج القصر

كان هناك بعضٌ من الراحة والاستجمام في الذهاب إلى النادي والالتقاء بالأصدقاء. ففي أطراف بغداد، بدأت أعداد بيوت المجتمع الأوربي والأمريكي بالزيادة بظهور السفارات والقنصليات، وإن كان أكثرهم من البريطانيين، وأصبحت هناك نواد ترفيهية ورياضية وحياة مرهفة. وتحوي المدينة بيوتاً لعوائل معروفة من المسلمين السّنّة، وبعض الأغنياء اليهود، وكذلك أطباء ومحامين ورجال أعمال. لكنْ؛ أماكن محددة كان فيها أنابيب المياه، وأغلب المناطق تعيش في فقر مدقع، رغم التحسّن الواضح هنا وهناك. فالشوارع ضيّقة، لا تسمح للعربات والسيارات، وبالكاد، تكفي لمرور الحمّالين والحمير لنقل البضائع. والشارع الوحيد المناسب كان شارع الرشيد الذي يخترق المدينة على طولها موازياً ساحل نهر دجلة (لكنْ؛ على مسافة منه)، ومن شارع الرشيد، يتفرّع العديد من الشوارع الفرعية التي تؤدي إلى البيوت والجوامع والأسواق.

في أول يوم أحد بعد وصولي، ذهبتُ باكراً إلى كنيسة سانت جورج للصلاة والعودة لتدريس فيصل من الساعة العاشرة وحتى

الثانية عشرة والنصف. لم أكن أعلم كثيراً عن الإسلام، بينما كان جميع أفراد العائلة المالكة ملتزمين في الدين، بالرغم أنهم لا يُظهرون ذلك. ففي خلال شهر رمضان يصوم الجميع، الوصيّ وأخواته والخدم من الشروق وحتى المغيب، عدا الملكة لأسباب صحية، وكذلك فيصل - بالطبع - لكونه طفلاً. وكان يقول إنه يصوم في الليل! كان الوصيّ يحمل حبّات من التمر في علبة صغيرة، يربطها بالحزام، فما إن تنطلق أصوات المدفع إشارة إلى نهاية صوم ذلك اليوم، فيأكل على الفور بضعة منها. وقد أخبرتُ أن لا أجهد الحرّاس في التجوال خلال شهر رمضان. وكان قد قدم اثنان من الملالي للنوم في الطابق الأرضي من القصر، يقومان بين الحين والآخر بالأذان للصلاة. ولإسعاد الملكة، قمتُ في أحد الأيام بالصوم معهم، وكانت المكافأة وليمة صغيرة، أُحضرَتْ إلى غرفتي.

كان في العادة أن نذهب في المساء بعد رياضة الخيل إلى قصر الرحاب، لكنْ؛ في شهر رمضان، كان يجب الانتظار حتى الإفطار، بشيء من البيض المقلي مع التمر قبل الذهاب.

كان فيصل يلبس سورة من القرآن على شكل حجاب مربوط بسلسلة حول عنقه، وكنتُ قد اعتدتُ نزع هذه السلسلة، عندما نذهب للسباحة. ولم أكن أعرف فيما إذا كان يجب أن يُبقي عليها أم لا. ولم يكن هناك أحد يعلّمه القرآن، بل لم يكن يهتمّ أحد بتعليمه اللغة العربية، ناهيك عن تعاليم الإسلام.

وبسبب جهلي للعادات والتقاليد، فقد ارتكبتُ أخطاء عديدة مخجلة، ففي إحدى المرات، عندما ذهبتُ إلى الإسطبل، طلبتُ سرج أحد الخيول العائدة للملك الراحل، لقد كان في حاجة إلى الترييض، وحين امتطيتُه، انتصب، وانطلق بقوة عبر الصحراء. لكنْ؛ عند عودتي، رأيتُ الملكة ممتعضة، وقابلتني ببرود، لم أعتده منها، وأخبرتني أنه كان علي عدم سرج هذا الحصان. فلم أكن أعلم أن الخيول التي كانت للملك لقد انتهى استخدامها، وأنها تُعامَل كأنما هي مقدسة.

كان السايس محمد علي صديقاً لي، وعندما دُعيت بعد بضعة أشهر للمشاركة في سباق الخيل للسيدات في مضمار الخيل في بغداد هيّأ لي حصاناً جيداً من الإسطبل. وعندما حان موعد السباق، كنتُ في المقصورة الملكية في رعاية الملك، وشعرتُ بالإحراج، بطلب الإذن من الوصيّ والسفير كينهان كورنواليس بمغادرة المقصورة، والذهاب إلى السباق. كان السباق لخمسة أثمان الميل فقط، وعلى أرض منبسطة، نصحتْني صديقتي بيغي بالمسير والانطلاق بجانبها، وهذا ما فعلتُه، وكان الفوز لنا في السباق. قدّم لي الملك فيصل الكأس الفضي جائزة السباق، لكني شعرتُ بالذنب؛ لأني تركتُه في المقصورة الملكية حين كان يجب علي البقاء بجنبه.

9
تدهور الأوضاع السياسية

كانت أخبار الحرب تصلني في النادي، وكذلك من الرسائل التي تصلني من بلدي. فأخي كان في الجيش، وكذلك شاركت الأختان كلتاهما في خدمات المساعدة الإقليمية، فكان من الطبيعي أن أتجاهل السياسة «المحلية»، فهي - بالمقارنة - لا تهمّني، وغير مهمّة. فكنتُ أجهل الشؤون المحلية تماماً، ولم أعِ الظروف في البلد على الإطلاق. كل ما كنتُ أعلمه أن السير بازيل نيوتن قد غادر البلاد إلى أفغانستان، وأن السفير الجديد السير كينهان كورنواليس قد استلم مهامّه.

كانت الملكة تترقّب بخوف (وكنتُ أظن أنها تستمع كثيراً إلى الإشاعات في الشارع)، في البداية، طلبتْ مني بأن لا أخرج بفيصل للتجوال خصوصاً خارج سور القصر. لهذا؛ كنتُ أنا وفيصل وعبد الوهاب بك والحرس الثلاثة نلعب - فقط - في حديقة القصر، لكنْ؛ بعد يومين أو ثلاثة، طلبت مني الملكة بأن لا يخرج فيصل إلى الحديقة، وأن يبقى في حدود شرفات القصر. ثم تم إحضار ضابط من الجيش للمراقبة بينما أنا في مهمتي في تمارين الرياضة الصباحية مع فيصل. ما الذي يحدث؟

كانت العائلة المالكة تشعر بأني أعرف أكثر من حقيقة ما أعرف، وأظن أن السفارة كذلك كانت تظن أني أعرف عن ظروف ما يجري أكثر من حقيقة ما أعرف، فإذا كنتُ ألتقي بالدكتور سندرسون، فكان لابد من أنه أوضح لي ما يحدث. كلّهم كانوا على خطأ.

طلبتْ مني الملكة الذهاب إلى بغداد، وإخبار أصدقائي البريطانيين مخاوفها، وبعدها؛ بدأت تعطيني رسائل لإيصالها إلى عائلة الطبيب سندرسون وأصدقاء آخرين في بغداد، الذين - بدورهم - كانوا يعطوني رسائل إلى القصر، فتحوّلتُ من مُربّية إلى رسول لحمل الرسائل، بالرغم أني لم أكن متأكدة لمن أُسلّمها. كان عليّ أن أخبر الضباط العراقيين المتحمسين على بوابة القصر بأني أستلم الأوامر من الملكة فقط؛ لأخفّف من توجّسهم. وفي بعض الأحيان عند العودة إلى القصر، كان يوقفون سيارتي، ويُخرجوني منها، فأقول لهم: أنا معلّمة الملك.

كان من الصعب لي أن أجمع أفكاري، لكنْ؛ لم يكن في خاطري أيّ شك في دعم الملكة والعائلة المالكة، وبضمنهم - بالطبع - الوصيّ، لقضايا بريطانيا خلال الحرب. أتذكّر في إحدى المرات قول ضابط المخابرات في القوة الجوية بأنه يظن أن بعض البريطانيين الذين يشتغلون في الحكومة العراقية هم طابور خامس. وكنتُ أشعر بالمرارة من طريقة معاملة، أو بالأحرى عدم التعامل، السفارة البريطانية لهذه العائلة الهاشمية الفاتنة والمتواضعة، الذي كان خطؤها الوحيد، والذي سبّب - من بعد - سقوطها، هو ولاءها لبريطانيا التي وضعتْها في مأزق، لا تُحسَد عليه.

قليل من الناس وحتى الساعة مَن يعرف جميع الظروف التي عملت - أو التي لم تعمل - في اتجاهات معينة، لاتخاذ بعض أو لعدم اتخاذ بعض القرارات الممكنة، أو غير الممكنة. ومن وجهة نظري في وقت ما، كان من الضروري إعطاء بعض التطمينات، أو بعض النصح من قِبل السفارة، أو على الأقل، التلويح بأنْ ليس في استطاعتهم إعطاء أي شيء.

فعندما أصبحت الأمور خطرة، قام الوصيّ بتسليمي ما يملكه من نياشين ومجوهرات ومسدّسات للاحتفاظ بها مع أحد ضباط القوة الجوية، وبعد أن سلّمت هذا الرجل المرح هذه الأشياء، ناولني - بالمقابل - جرعة من الشراب. كان يجب أن أطلب منه ورقة إيصال، لأنه - بعد نهاية المشاكل - لم يستطع الوصيّ استرجاعها، وسألني إن كنتُ قد سلّمتُ الأشياء فعلاً.

لجأ إلى القصر بعضٌ من أقرباء العائلة المالكة، الشريف فواز وشخص آخر، وتمّ إيواؤهم في الطابق الأرضي من القصر. سألتْني الملكة إذا كان بإمكاني المساعدة بإخراجهم بأمان، فهم تحت تهديد رشيد عالي الكيلاني، الذي أصبح القائد العام للقوات المسلحة. طلبتْ مني أن أضعهم في صندوق السيارة، والذهاب بهم إلى بغداد، ثم تغيّرت الخطة؛ حيث اقترح أحد ضباط القوة الجوية الملكية بأن أجد مكان مناسباً في الخلاء بضعة أميال خارج القصر؛ حيث يتم إخفاؤهم بزي السايس، والخروج معي على ظهور الخيل قبل فجر أحد الأيام. ويقوم الضابط بنقلهم بسيارة من المكان المذكور، وأعود أنا إلى القصر مع الخيول. كنتُ أفكّر أنه - ربما - يصعب علي العودة بالخيل إلى القصر، لكنْ؛ رغم ذلك،

خرجتُ في ظهيرة أحد الأيام للبحث عن المكان المناسب، وأخبرتُ الملكة بأن خطة الهروب أصبحت جاهزة للتنفيذ في صباح اليوم التالي، عندها؛ علمتُ أن الشريف فواز قد تمّ تهريبه إلى خارج البلد. فأصبح - بعد هذا - من الصعب لي أخذ تلك الأمور بجدية. لكنْ؛ في الأول من شهر نيسان سنة 1941 قام الجيش بالاستيلاء على السلطة، وإعلان حالة الطوارئ، فانتشرت نقاط التفتيش في بغداد وحول القصر.

سمعتُ في أثناء الليل بعضاً من الفوضى والاضطراب، فخرجتُ من غرفتي، لأرى إذا كان من الممكن المساعدة في شيء، فأُخبرتُ أن الملكة تعاني من آلم في الأسنان. وفي الصباح، أخبرتني الأميرات بأن الوصيّ قد غادر قصر الزهور هارباً إلى قاعدة القوة الجوية الملكية في الحبانية، على بعد حوالي ستين ميلاً من بغداد. وعلمتُ - بعدها - بأنه ذهب إلى السفارة الأمريكية، وتم إخراجه من بغداد؛ حيث قام السفير الأمريكي بول نابينشو وزوجته بنقله إلى مقر قيادة القوة الجوية الملكية بالخفاء، في أرضية السيارة، وتحت تنّورة زوجة السفير.

سبق لرشيد عالي الكيلاني أن كان رئيساً للوزراء، لكنه أُجبر على الاستقالة، فأصبح - بعدها - يتحيّن الفرص للعودة إلى رئاسة الوزراء، فتمّ له - الآن - ما يريد؛ حيث نصب نفسه رئيساً للوزارة، بدعم من «المربّع الذهبي»، كما كان يُطلق على قوّاد الجيش الأربعة. كانت معظم قوات الجيش تسانده، ربما جميعهم. وقد اضطُر رئيس الوزراء الشرعي طه الهاشمي لتقديم الاستقالة. وهكذا بدأت الثورة، بالرغم من جهود نوري

السعيد باشا (الذي أصبح رئيساً للوزراة بعد فشل الانقلاب)[*] وعبد الإله بإنقاذ الوضع. كان الرجل الحكيم والكبير نوري السعيد أحد الذين قُتلوا مع الوصيّ والملك في سنة 1958.

كان السير كينهان كورنواليس قد وصل وبقي في السفارة، ولم يقدّم أوراق اعتماده؛ لكي لا يمنح الحكم الجديد أيّ اعتراف. أعلن الجيش تشكيل «حكومة الدفاع الوطني» برئاسة رشيد عالي الكيلاني، الذي أرهب نوّاب البرلمان للتصويت بخلع الأمير عبد الإله من الوصاية، وتعيين أحد كبار السنّ من العائلة الهاشمية، الشريف شرف، بدلاً عنه.

وبالرغم من أن العراق لم يعلن الحرب رسمياً على بريطانيا، إلا أن الحقيقة كانت مشابهة، واستمر التمرد أو الانقلاب إلى ثلاثين يوماً.

في سنة 1940 عندما بدأ الألمان يحقّقون الانتصارات مع انهيار فرنسا، ودخول إيطاليا الحرب، بدأ العراقيون بالتعاطف مع دول المحور، وكان قوّاد الجيش تحت تأثير الدعاية الألمانية على استعداد لذلك. فالسفارة الألمانية تحت قيادة الدكتور غروبا كانت تعمل بجد، وبشكل مؤثر، فوجد العراقيون الترحيب والمساعدة من البعثة الألمانية، بينما كان البريطانيون على مسافة من العراقيين. وحتى في داخل القصر، رأيتُ مجاميع من المنشورات والمطبوعات النازية، أظن كانت تُقدّم إلى الملك غازي للاستطلاع، وأنا على يقين أنْ ليس هناك أحد من الذين أعرفهم في العائلة المالكة مَن كان يهتمّ بتلك المطبوعات.

* تولّى جميل المدفعي الوزارة بعد فشل ثورة مايس، وجاء بعده نوري السعيد.

10
حركة رشيد عالي الكيلاني

بحلول التاسع والعشرين من شهر نيسان، كان الوضع متأزماً جداً في بغداد، فتمّ جلاء الأطفال والنساء من البريطانيين إلى الحبانية، ورغم وعد رشيد الكيلاني بعدم التعرّض لهم، إلا أنه لم يفِ بوعده، فتمّ إطلاق النار عليهم عند صعودهم الطائرات في الحبانية التي أقلّتهم إلى البصرة، ومنها إلى الهند.

في تلك الليلة، قامت قيادة الجيش العراقي بتحريك القوات حول القاعدة الجوية الملكية في الحبانية. وفي خلال يومين، تم جمع ما يقارب عشرة آلاف رجل، وخمسين مدفعاً، وعدداً من الدبّابات. كان المعسكر يحوي على بضعة آلاف من العمال المدنيين، و ألف ومئتين من الليفي الآثوريين والعرب والأكراد، وفصيل من العجلات المدرّعة، إضافة إلى 60 طائرة مختلفة، أغلبها من الأنواع القديمة خارجة الخدمة، مع 30 طيّاراً مدرّباً، والعديد من الطلاب، وحوالي ألف موظّف في القوة الجوية الملكية، وكذلك مدفعي هاوتزيرز آثرية.

أمر الجنرال ويفيل في القاهرة بإرسال قوات من فلسطين لإنقاذ قاعدة الحبانية، وإحلال السلام، لكنْ؛ لم يتسنّ لهم عبور الحدود العراقية إلا في العاشر من شهر أيار.

كان يبدو كمعجزة عدم تقدّم القوات العراقية، والاستيلاء على حامية الحبانية في الثلاثين من شهر نيسان، أو في اليوم التالي، بالرغم من قصف المعسكر، وإن يبدو أنه لم يكن من كل قلبهم. كانت النساء والأطفال في الطائرات في طريقهم إلى البصرة، وقامت الطائرات البريطانية بتدمير معظم الطائرات العراقية، ومهاجمة مواقع المدفعية. لم يندفع العراقيون لاحتلال المعسكر، على الرغم من قدرتهم بالقيام بذلك متى ما أرادوا، ثم انسحبوا في السادس من شهر أيار.

وبالعودة إلى بغداد، ففي التاسع والعشرين من نيسان، تم تجميع الرعايا البريطانيين والأمريكان في السفارة البريطانية في الجهة الغربية من النهر، وفي البعثة الأمريكية في العلوية في الجهة الشرقية من النهر. اعترض العراقيون على ذلك، واعتبروا التصرف الأمريكي عملاً غير محايد.

بعد انتهاء الدروس في ذلك اليوم، تركتُ القصر في سيارة البنتلي المستعارة حاملة رسالة من الملكة إلى «أصدقائك الإنكليز»، وكان لي كذلك موعد للعب التنس، ويجب أن أعترف، كنتُ مهتمّة جداً لذلك، رغم أني حتى تلك اللحظة، لم أكن على دراية بخطورة الموقف. أشار لي الحارس على بوابة القصر بالوقوف، وكبادرة لحسن النية، ربّت بيده على السيارة قائلاً : إن أوامر القائد رشيد عالي الكيلاني بعدم السماح للمُربّية

الإنكليزية بالخروج من القصر، إلا بإذن منه. فأجبتُ عليه أن يُخبر قائد الجيش بأني أتلقّى الأوامر - فقط - من جلالة الملكة، أو من معالي الوصيّ، وضغطت بقدمي على كابح السرعة للانطلاق، فتسلّق الحارس على العتبة الجانبية للسيارة (كانت سيارات ذلك الوقت تُصنع بتلك العتبات الجانبية)، فانحرفتُ بالسيارة يميناً وشمالاً حتى سقط منها، وانطلقت مسرعة نحو بغداد.

في الطريق، صادفتُ إحدى حافلات شركة نيرن في طريقها إلى خارج المدينة، تبادر إلى ذهني أن هذا أمر غريب، فاليوم ليس من أيام رحلات الشركة، في الحقيقة، كانت الحافلة مليئة بالنساء والأطفال في طريقهم إلى الحبانية. وبدخولي بغداد، شعرت بأن هناك أموراً غير طبيعية في المدينة، فأخذتُ استدارة نحو الكنيسة الإنكليزية للذهاب إلى حيث يقيم القس شارلس روش وأخته السيدة مولي. ركضتْ مولي نحوي؛ لتخبرني بأن العراقيين قد هاجموا البريطانيين. واتضح لي بأن الشرطة كانت تلاحقني، فما إن وقفتُ حتى وصل رجال الشرطة، وتم سحبي من السيارة، ومحاولة تفتيشي، ووجدوا رسالة كنتُ قد استلمتُها من أختي في إنكلترا. كنتُ غاضبة إلى أبعد الحدود، وتكلّمتُ بصوت عالٍ بأني بريطانية، وليس لهم الحقّ بإيقافي وتفتيشي. ويبدو أن شارلس روش قد اتصل بالسفارة، فعلى الفور، وصل أحد المسؤولين؛ ليخبرني عن صعوبة الوضع، وقال لي: من الممكن ترتيب الأمر لي، وإخلائي مع النساء، ولم يكن ذلك ما أبغيه، فطلبتُ منهم إرجاعي إلى القصر، فرفضوا ذلك، حاولتُ الاتصال بالقصر، لكن الخطوط كانت مقطوعة.

أُخذتُ إلى مركز الشرطة، وهناك - بعد ذلك كله - قرّروا إرجاعي إلى القصر، لكنْ؛ بعد أن أيقنتُ باندلاع الثورة ضد البريطانيين، لم أعد أرغب بالذهاب إلى هناك. كنتُ على علم بأن فيصل والنساء سوف لن يكونوا في خطر. ففي خلال التمارين الرياضية الصباحية، كان الضابط العراقي يراقبني، ولا يراقب الملك، وربما سأسبّب إحراجاً للملكة إذا عدتُ الآن، فقد كنتُ على قدر استطاعتي الرابط بين القصر وبين البريطانيين المرتبطين بالوصيّ. إضافة إلى أنه سوف يكون من الصعب عليّ البقاء والسكون والراحة في القصر، بينما يقبع أصدقائي في الخطر في بغداد.

كنتُ متمتّعة بعملي في نقل الرسائل، بالرغم من إيقافي ثلاث أو أربع مرات من قِبل الشرطة، فلم يكن الأمر لي ذا جدية، وإنما بمسحة من التمثيل، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، كنتُ على يقين من حقيقة كون العرب - كمسلمين - سوف لن يفتّشوني شخصياً. كان الأمر مثيراً، بل ممتعاً، ونوعاً من التغيير من رتابة العمل اليومي. لكنْ؛ في اليوم الذي وجدتُ فيه نفسي في مركز الشرطة في يوم التاسع والعشرين، كنتُ أشعر بالمرارة، فلم يكن هناك مَن يقف بجانبي، وحتى لم يكن هناك مَن يعلّمني أي شيء. قد تكون حالة طوارئ الآن، لكنْ؛ كان لابد من توقّع احتمال الثورة ضد بريطانيا، وكان لابد من إعطاء البلاط الملكي بعض التعليمات عن كيفية مواجهة هكذا حالة.

بيّن لي هذا كم هو التباعد غير المعقول بين البريطانيين في بغداد والقصر الملكي الذي لا يبعد سوى ستة أميال. كنتُ أعرف هذه الفجوة

مسبقاً، ورغم صداقاتي الجيدة، كان واضحاً لي في عدم احتوائي ضمن الحلقة الكبيرة للجالية البريطانية في بغداد، فهناك شكوك؛ لكوني أعمل في محيط عربي، لعائلة عربية، حتى وإن كانت العائلة المالكة. هذه الشكوك بدأت تكبر؛ لتصبح امتعاضاً، إلى الحدّ الذي أصبحت فيه موضع جدل في أوساط الجالية في بغداد.

كنتُ ممتنّة للزيارة التي قامت بها الليدي دراور إلى القصر؛ لكي تُطمئن الملكة، فكنتُ أختلق القَصص؛ لأجعلها متماسكة، ولتطمئنّ لما يحدث، حين كانت تسأل عن الأخبار من بغداد. ففي خلال شهر نيسان، لم يحضر إلى القصر الدكتور سندرسون، ولا زوجته، ولا أي أحد من البريطانيين. كان حضور الليدي دراور - ربما - لترى ما الذي أعمله في القصر، خرجتْ مسرورة بما أقوم به، وكنتُ شاكرة جداً لذلك. كنتُ أشعر بالخجل، بعدم حضور أي شخص آخر، كنتُ أجد نفسي مخادعة، عندما أؤكّد للملكة باهتمام المسؤولين البريطانيين في بغداد للعائلة المالكة، رغم ذلك، لقمتُ بهذا العمل مرة أخرى.

11
الاختباء في البعثة الأمريكية

عندما سُمح لي بمغادرة مركز الشرطة، لم يكن أمامي سوى الذهاب إلى النادي. التقيتُ هناك السيد جوردن ماتيسون، الذي كان يدور في بغداد لتوجيه البريطانيين بالذهاب إما إلى السفارة البريطانية، أو إلى البعثة الأمريكية. وحيث إني في هذه الجهة من بغداد، في العلوية، فذهبتُ إلى مقرّ البعثة الأمريكية. كان هناك مائتان من الرجال، وفتاة هندية، تحمل الجنسية البريطانية، وكانت مولي روش قد تطوّعت للمساعدة في السفارة البريطانية. ولجأت إلى هناك - كذلك - الكاتبة فريا ستارك، التي عادت من شمال العراق، وبدأت تكتب التقارير إلى صحيفة التايمس، وقد ذكرت وجود 358 شخصاً هناك. كنتُ محظوظة لبُعد النظر للسيد نابينشو، فقد جهّز المخازن في مقرّ البعثة، بشكل أفضل ممّا كان في السفارة. فأصبحتُ أنا المسؤولة عن التموين، وبمساعدة الفتاة الهندية، عملنا جاهدتين لإعداد الطعام. فكانت الحاجة للرجال في الدفاع والمراقبة، فهناك احتمال مهاجمة الجيش العراقي أو الرعاع. كان علينا إعداد وجبتين في اليوم، لإطعام 200 فرد تقريباً، إضافة إلى أقداح الشاي. كان أحد الرجال المتواجدين ضابطاً في الشرطة العراقية، يُدعى الرائد كونز، تمكّن من إقناع بعض أفراد الشرطة التي تحاصرنا؛ ليشتروا لنا بعض المواد الغذائية الضرورية.

أصبحنا في موقع أشبه «بالمعسكر»، وتحت قواعد الانضباط العسكري بقيادة الكولونيل بيج، أحد أعضاء البعثة العسكرية البريطانية في العراق، وكان علينا أن نشكر السيد نابينشو لعدم تدهور حالتنا في تلك الظروف المخادعة التي مرّت قبل نهاية الحصار.

لم يكن العراق في حالة حرب مع الولايات المتحدة، وكان السيد نابينشو يبعث بالرسائل غير مشفّرة إلى واشنطن، فكان يصف التهديدات والتصرّفات البربرية التي نتعرّض لها من قِبل الجيش العراقي، وبعد نهاية الاضطرابات، وُجدت تلك الرسائل في مكتب البريد دون أن تُبعث، لكنها كانت قد وصلت إلى مَن نريد.

كان الجنود الذين يمرّون من أمام مقرّ البعثة ينظرون نحونا، ويُومئون بأيديهم بنحر رقابنا، ثم وضعوا مدفعين رشاشين نحو بوابة البعثة، وكذلك حلّقت طائرة عراقية فوقنا، وألقت بضعة قنابل عن قُرب. وكانت أتعس اللحظات، عندما طُلب منا كتابة آخر رسائل لنا، لإرسالها إلى ذوينا قبل أن يأتي العراقيون لأخذنا. طَلب منا السيد نابينشو الهدوء، وفعلنا ما أراد، وفعلاً؛ كان ذلك مؤثراً في تهدئة الأمور، ولم يدخل أحد إلى مقرّ البعثة.

أعطاني تيد ميد مسدساً، وطلب مني حمله على الدوام، وكان عليّ وضعه في حالة الأمان، وأن أتذكّر أن فيه خمس طلقات. بعدما أصبحنا أحراراً، كنتُ أضعه في محزمي عند ركوب الخيل. كان هناك حاجة لاستعماله في إحدى المرات، لكني أيقنتُ - حينها - أنه يصعب عليّ سحب الزناد، فلم يكن لي القدرة على أن أجمع نفسي، وأطلق النار، ربما كان كل ما أستطيع فعله هو أن أضرب أحداً ما على رأسه، بأخمص المسدس، ليس أكثر.

بالرغم من أن قوات الجنرال كلارك كانت في وضع خطر ضعيف، بالمقارنة مع الجيش العراقي في عدد المدافع والأشخاص، والتجهيز والإعداد، وعلى الرغم من سهولة الدفاع عن بغداد، استسلم الجيش العراقي، ولم يدم عمر الثورة طويلاً.

علمنا الأخبار السارة، وانتهاء الانقلاب في أحد الأيام حين وصل - بشكل مفاجئ - السير كينهان كورنواليس إلى مقرّ البعثة، فأُخبرنا أن قوات الفرسان قد جابهت العراقيين، وتمكّنت من إجبارهم على الاستسلام، وقال إن بالإمكان أن يذهب كل فرد إلى بيته، وإن علينا أن ننسى ما حدث. ولم يكن ذلك - بالطبع - سهلاً، خصوصاً للذين شاهدوا بأعينهم سرقة منازلهم.

في الأول من حزيران، عاد الوصيّ إلى بغداد، وتمّ إعدام قادة الثورة، وعُلّقت جثثهم أمام الناس. وهرب رشيد عالي الكيلاني إلى ألمانيا. كان تردّد الجيش العراقي في الحبانية، وفشل قوات المحور بتقديم المساعدة في الوقت المناسب، إضافة إلى المقاومة العنيدة للقوات البريطانية في الدفاع عن جزيرة كريت، والمخادعة الناجحة لقوات الجنرال كلارك، أسهم في حماية العراق من غزو ألماني، ووقوع العراق مع الجهة الخاسرة في الحرب.

لم يكن فيصل في خطر في ظروف الأزمة، فمكث في القصر مع والدته والمُمرّضة والخدم، وعندما بدأ القصف البريطاني، كانت العائلة المالكة قد انتقلت إلى شمال العراق بعهدة الجيش العراقي. وقد أثبتت الأحداث بصواب قراري، بالبقاء في بغداد في تلك الأيام.

12
نهاية الأزمة

طلب مني السيد نابينشو البقاء ليلة أخرى في مقرّ البعثة بعد انتهاء الحصار، قبل العودة إلى القصر. في تلك الليلة، وقبل السيطرة التامة للجيش البريطاني، حدثت اعتداءات على اليهود في بغداد، بتحريض من ضباط الجيش الهاربين، على أمل أن يتطوّر الأمر إلى ثورة مضادة.

انتهت الأزمة، ولكن التداعيات كانت عديدة، لو كنتُ أعلم مصير اليهود المأساوي الذين تعرّضوا للقتل، لطغت تلك على كل شيء في نهاية الانقلاب، ولكن ذلك مدعاة للحزن والعزاء بدلاً من الفرح. لقد أُصبتُ بالذهول إلى حجم الخسائر في الممتلكات اليهودية والبريطانية.

كان بعدها الوفاة المفاجأة للصديق بول نابينشو، الذي ضيّفنا في البعثة الأمريكية، مدعاة لحزن العميق، لقد كان يعاني من متاعب في أحد أظافر قدميه، وتمّ قلعه بعد انتهاء الحصار. لكنْ؛ تطور الأمر بعد العملية إلى الكزاز الذي سبّب في وفاته. كان ذلك صعباً عليّ تصديقه. كذلك توفي أحد الشبّان الأمريكان، بيل فارييل، بعد فترة قصيرة. قيل إنه سقط من السلالم في منزله، مما تسبّب في كسر رقبته، وهو لم يكن في بغداد خلال

فترة الانقلاب، لقد كان يتكلّم العربية بطلاقة، كأنه عربي. كان ذلك التزامن في حالتي الوفاة، والأسباب التي ذكرتُها، مدعاة إلى التأمل عن السبب الحقيقي لما حدث.

وكانت هناك تداعيات سعيدة: ذكريات ممتعة في مقرّ البعثة، وصداقات شيّقة مع الزملاء الأمريكان. أما أنا؛ فأصبحت فتاة رشيقة، فكان وزني أقل من ثمانية ستون(*) (حوالي خمسين كيلوغرام) عندما أُطلق سراحنا.

من أعلى السطح في قصر الزهور، كانت الأميرات يُلوّحن بالشكر إلى فرقة الجنود البريطانيين الذين قدموا إلى العراق مروراً بالبصرة، والذين رابطوا في بغداد وحولها.

وكانت هناك - أيضاً - تداعيات سخيفة: فقد اتُّهمتُ بأني -وبالمشاركة مع المُمرّضة- قمتُ بتسميم الغذاء لفيصل. وكانت إذاعات ألمانيا وإيطاليا تُطلق عليّ لقب «اليهودية في القصر»، و«أن الشعب العراقي يعرف ماذا سيفعل لهذا»، لم أشكُ من ذلك، إضافة إلى أني -في الحقيقة- لستُ يهودية. وكان هناك جانب إيجابي، فالتقيتُ مراسل صحيفة التايمس، السيد لومبلي، الذي وعدني بأن يرسل لي صورتي وأنا أخوط جدر المرق؛ لإعداد الطعام في مقرّ البعثة.

* ستون (الحجر) هو وحدة وزن إنكليزية تُقابل 14 باوند (رطل).

13
العودة إلى القصر

في النهاية، عندما غادرتُ مقرّ البعثة، كان فيصل قد عاد إلى القصر، والتحقتُ به، كنتُ سعيدة جداً برؤيته، كما كان هو سعيداً بعودته إلى الدروس من حيث توقّفنا قبل عدة أسابيع.

لم يطل الأمر كثيراً بعودة أغلب العائلات البريطانية، وكان هناك جدل بين النسوة اللواتي أعرفهنّ في نادي العلوية، فيما إذا كان الأفضل لي العودة إلى القصر، عندما غادرتُ مركز الشرطة يوم اندلعت المشاكل. إلا أنهم أيقنوا لكان قد تمّ إجلائي مع الجميع، ولم تكن هناك فرصة للذهاب إلى هناك على أية حال. والبعض الآخر أشار بأنه كان علي البقاء مع العائلة المالكة خلال فترة الانقلاب، ولم يضعوا في حسابهم بأني سوف لن أكون ذا فائدة لهم، وربما أكون عائلاً عليهم، وبالتأكيد؛ لم يكونوا ليعرفوا كم كان صعباً لي اتخاذ القرار، وأنا في مركز الشرطة في ذلك اليوم. وكان هناك مَن شاطرني الرؤيا، ووقف بجانبي، ودعم موقفي.

وبعـد نهايـة كل شـيء، أصبحـت الأمـور أكثـر وضوحـاً لـي حـول النـاس الذيـن أعرفهـم فـي بغـداد، ومنحتْنـي تلـك الأسـابيع الأربعـة ثقـة عاليـة بالنفـس. فبعـد فتـرة الاحتجـاز تلـك، ازددتُ قـوة وشـجاعة بطـرح قناعاتـي فـي الأخطـاء التـي وقعـتْ فـي تربيـة وتنشـئة فيصل، وأصبحتُ أرى الأمور بوضوح أكبر.

14
فيصل في السرير

كنتُ أجد دومـاً في فيصل قابلية جديدة، تدعو إلى التفاؤل بالمستقبل، وبعد أن أصبح أكثر قوة، كنتُ آمل بإمكانه الخروج من محيط القصر بعض الشيء.

في الاحتفال بعيد ميلاده السادس، سُئل فيصل من قِبل القسم العربي في محطة إذاعة البي بي سي(*)، عن أيّ قصة للأطفال يختار في هذه المناسبة. أجاب وعلى الفور: الفصل الخامس من قصة «نصيحة إلى يرقة الفراشة» (من قَصص أليس في أرض العجائب)، أظنّ قليلاً من الأطفال كان ليختار هذه الإجابة الرائعة. فيرقة الفراشة المتغطرسة والتي لا يعجبها أي شيء أصبحت دودة، يا للعجب!! لنزلاء القصر كان هذا الاختيار غريباً عن قصة حول دودة، وللملكة والأميرات أن الأمر غرابة في غرابة، تلك طريقة الحياة البريطانية.

من هذا كان واضحاً أن فيصل - ولحسن الحظ - يحبّ أن يُقرأ له، وحيث الساعات الطويلة التي يجب قضاؤها في الداخل، بسبب الحرّ،

---

* التقت محطة الإذاعة البريطانية البي بي سي بفيصل في عيد ميلاده السابع في سنة 1942، وليس ميلاده السادس. انظر الملحق 1.

ساعدت القراءة في تنويع رغباته بعدة أشياء، ممّا جعل تعليمه أكثر سهولة. كان يُسره كتابة الرسائل القصيرة إلى والدتي في إنكلترا، وكان ذلك تدريباً جيداً له، فهو يعلم أن هناك مَن يهتم بقراءة رسائله، في الحقيقة؛ كان هذا أكثر من تمرين. فكان يشعر بالإثارة والمتعة بالكتابة إلى بلاد غريبة، وهناك مَن يفهم ما يكتبه.

وقد كتب فيصل في إحدى رسائله إلى والدتي بأنه لا يحبّ درس الحساب، فقد وجد ذلك صعباً في البداية، فهو شيء جديد له، لكنْ؛ بمساعدة كتاب «الجمع للصغار» بدأ يدرك ويفهم ما يُطلب منه. وهكذا ذكرتُ في تقريري إلى الوصيّ أنه ليس - فقط - أصبح جيداً في الدرس، بل أعتقد أنه أصبح يحبّ دروس الحساب.

كان درس التاريخ هو المفضّل لديه، ويليه درس الجَغرافية، ولطفل في عمره، كان له اهتمام غير عادي في الخرائط. ففي دروس التاريخ والجَغرافية، أبدى امتلاكه لذاكرة جيدة جداً في تلك المواضيع. وكنتُ قد تفاجأتُ عند وصولي في أنه يتحدث الإنكليزية بطلاقة، وبالرغم من الخجل في الإجابة أمام الناس، لكنه - بعد مدة - تغلّب على ذلك، وأصبح لا يهاب ذلك على الإطلاق.

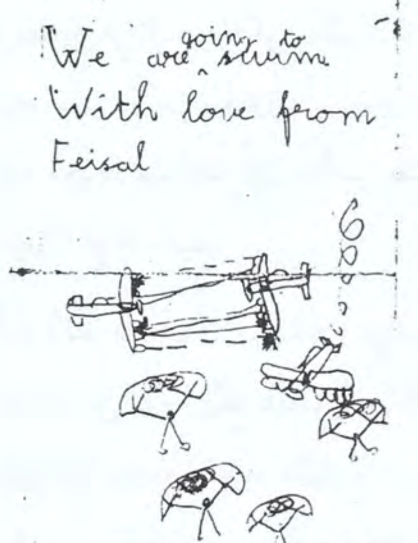
في تشرين الثاني، كان البرفسور هاملي المفتش في المدارس البريطانية في زيارة إلى بغداد، لصالح المركز الثقافي البريطاني، فاغتنمتُ الفرصة، ورتّبتُ له زيارة لرؤية فيصل. فكتب تقريراً جيداً، ذكر فيه حُسن تعليم فيصل، وأن طريقتي في تعليمه مناسبة له. أعطيتُ التقرير إلى

الوصيّ، وبعثتُ نسخة منه إلى السفارة، على أمل أن تراه السيدة كورنواليس التي أبدت شكوكاً في طريقتي بتعليم فيصل. أظن أن البرفسور هاملي كان معجباً بما أقوم به.

تحسّنت اللياقة البدنية لفيصل باطراد، ولم يعد يشعر بالتعب، وأصبح يركّز ويهتم في واجباته في فترات أطول. كنتُ أعتقد بأنه يعاني من بعض أنواع الحساسية، فهناك أعراض تشبه الحمى الربيعية، أو الربو، فطلبت عرضه لاستشارة طبية، وتحديد تلك الأعراض. فغالباً ما كان يتعرّض إلى سيل من البرد والعطاس، ما يقارب الساعة، أو أكثر.

في إحدى الرسائل إلى والدتي، أشار فيصل إلى خاله عبد الإله الذي أعطاه سيارة حمراء. وكان عمّه الأكبر، الأمير عبد الله، الذي كان يراقب تصرّف الأميرات، له اهتمام - أيضاً - بفيصل. فكان يأتي من شرق - الأردن (كما كان يسمّى) مرتدياً ثوبه العربي، وكنتُ أكنّ لهذا الرجل الوقور كلّ الاحترام، لما له من فراسة وحدة ذكاء. كان فيصل يحبه، وفي أحد الأيام، قرر أن يذهب معه إلى عمّان، جاءني ليخبرني بأنه سيغيب عن الدراسة لمدة أسبوع، وأسرع ليجهّز حقيبة السفر، قال: «أحتاج إلى حقيبة واحدة»، وقلت له: «مع السلامة». لكنه عاد في صباح اليوم التالي قائلاً: إن «ماما» (الآنسة بورلاند) لم تسمح لي بالذهاب.

خلال وجودي، قام الأمير عبد الله ببعض الزيارات، وفي إحدى هذه زيارات، قال: «أحضروا كرسياً إلى المُربّية»، بعدها جاء السؤال: «لماذا هذا الطفل في السرير، كلما جئت للزيارة؟». كم تمنيتُ لو كنتُ


We are going to stwim
With love from
Feisal

Qasr-al-Zehur,
Baghdad
Septem 6th
Dear Mrs Salmon,
I can swim a
length. I swam at
the American
Jargasham. I have a
new pony namd

we go out bifore
breakfast..
I have a cari
2 horses pool the
cari, they are smorl
horses
I have been diging
in a tel, I fownd
some diamans, and
some gold and silver
ornaments. I am
lerning how to
diev, and I can
nearly swim. I can
swim with a mcrabon
my back. I like
reeding and
riting but not
arifn-tick.
With love from Feisal.

نماذج من رسائل فيصل الى والدة المربية

أجبتُ حينها بالحقيقة، كان عليّ القول، ليس هناك من سبب ليكون فيصل في السرير، إنه جزء من طبيعة التحضيرات للمُمرّضة والطبيب المختص بوضع فيصل في السرير. في تلك الأثناء، كنتُ أشعر بأنه لا يجوز أن أتكلّم من وراء ظهر المُمرّضة والطبيب، وعليّ أن أتحفّظ في خطواتي. وكنتُ فعلاً أودّ معرفة فيما إذا كان الأمير يظن أن فيصلاً مريض، أو أنه ذكي بما يكفي ليستنتج الحقيقة.

كنا نعرف أن الأمير قادم في زيارة؛ حيث يتم تعليق صوره على الجدران، ومن ثم؛ وَضْع فيصل في السرير. أما الأخ الآخر للملك فيصل الأول؛ فكان أخاه الشقيق، الأمير زيد، وكنتُ قد التقيتُه في رحلة إلى بحيرة الحبانية.

كانت الحرب - دوماً - في الأذهان، وأظهرت الملكة ولاءً تاماً لبريطانيا، وكتعبير رمزي عن تعاطفها، قررت الإقلاع عن وضع السكر في الشاي. كتبت رسالة إلى الوطن، «ها هنا أنا أجلس على سطح القصر، وأمرح بين أشجار النخيل والرمان». و «حفلة شاي راقصة في نادي العلوية» وليس هناك ما أعمل للمجهود الحربي». وقد وجدت ملاحظات كتبتها عن ما جرى في يوم عادي:

السابعة والنصف صباحاً : ركوب الخيل مع فيصل. تمارين في لعبة البولو مع حصاني الجديد، الذي يتراجع إلى الخلف مع انطلاق مفاجئ. آمل أن أجد حصاناً أفضل إلى فيصل. بعد رجوعنا من ساحة لعبة البولو، قام الحرس بألعاب بهلوانية. تحيات فيصل بطرق غريبة وغير تقليدية،

بينما أنا مشغولة بتصرّفات حصاني. فيصل يأكل السكر الخاص بحصانه. الفطور. دروس حتى الساعة الواحدة إلا ربع. بعدها وجبة الغذاء الطويلة والمملّة. يحاولون إقناع فيصل بأكل بعض أنواع الطعام. فيصل يذهب إلى الراحة، ليس في الحقيقة راحة، بل الذهاب إلى السرير. بعدها خرجنا من القصر.

في أحد الأيام، أخذتُ فيصلاً إلى المتحف الوطني؛ حيث كان في استقبالنا المدير، السيد سيتون لويد. لقد أُعجبتُ - حقاً - بالطريقة التي توارى بها سيتون لويد بعد الترحيب، وتراجع إلى الوراء؛ ليترك الأمر إلى مساعده العراقي في أخذ زمام الأمور، والاهتمام بفيصل. كنتُ أُراقب فيصلاً؛ حيث تجمّع العديد من الموظفين والمصوّرين (في تلك الأثناء، كان يسأل عن أسماء الأشخاص الذين يتقدّمون إليه، ثم يتأكد من صحة تلك الأسماء مرة أخرى). بعدها رأيت الطفل ينظر إلى قطعة أثرية من 3000-4000 عام قبل الميلاد، وهو يحاول معرفة ما يُعرض له. وأبدى أعجاباً بحلية الرأس الذهبية التي وُجدت في آور. كان موظّفو المتحف مسرورين بتلك الزيارة، وتعلوهم الابتسامة، لما وجدوا من اهتمام حقيقي لفيصل بما رأى.

15

العراقيون يكرهون عبد الإله

في أواخر سنة 1941 قرّرت الملكة عالية قطع أشجار اليوكالبيتوز في الحدائق المواجهة للقصر. لقد كانت هيئة وألوان هذه الأشجار هي أفضل ما هو موجود في حدائق القصر، ففي عصريات أيام الحرّ الجاف والخانق كان لهذه الأشجار الجميلة بعض من النسيم والعبير حين تتلاعب في أعلى أغصانها الريح، فتمنحنا ساعة أو ساعتين من البرودة قبل حلول الليل. لكنْ؛ بعد حادثة الانقلاب، أصبحت الملكة في قلق على حياة فيصل، وهذه الأشجار تمنح المعتدين غطاء للاعتداء عليه، فهكذا جاء عدد من العمّال لقطع جميع هذه الأشجار.

في تشرين الأول من هذا العام، التقيتُ جون موريسون، الذي وصل تواً إلى بغداد، والذي أصبح زوجي فيما بعد. كان جون قد تطوّع لقوات البحرية، بينما كان يدرس في جامعة كامبريدج، لكنْ؛ لحسن حظي فشل في اختبار الألوان في الفحوصات العسكرية الأولية، فهكذا نُسب للعمل في المراكز الثقافية في الشرق الأوسط. واختير لتدريس اللغة الإنكليزية لطلاب الكلية العسكرية العراقية، وكذلك ضباط كلية الأركان للجيش



الملك فيصل مع خاله الوصي عبد الإله

العراقي. هذا منحه فرصة لمعرفة آراء الطلاب وأفكارهم لما حدث في الماضي، ولما سيحدث في المستقبل.

لقد تألمت جداً حين أخبرني جون أن العائلة الملكية الهاشمية أصبحت غير محبوبة، وخصوصاً الوصيّ، لما حدث بعد الإعدام العلني للضحايا بعد فشل الانقلاب. كنتُ أعرف أن الوصيّ غير محبوب، لكني كنتُ أجد صعوبة في معرفة السبب. كان كثير الحياء، رجلاً لطيفاً، فُرضت عليه مسؤولية الوصاية، ربما كان السبب هو رغبته بالتعاون مع الإنكليز، بينما كان الملك غازي مناهضاً للإنكليز ومتعاطفاً مع الألمان. وبمجرد منحه الوصاية، تشكّلت أحزاب معارضة، وأصبح لها نفوذ ودعم بعد نجاحات القوات الألمانية. فأي شخص في مكانه، وحتى السياسي المتمرس، كان سيجد نفسه أمام مهمات صعبة جداً، ولأصبح مركزه غير مرغوب.

سألني جون ألا أرى بأن الملك قلّما يظهر في الأماكن العامة، وإذا ظهر يكون محاطاً بالإنكليز، وبصحبة المُمرّضة البريطانية والمُربّية. كنتُ سعيدة بأن أسمع أحد ما يقول علناً ما كنتُ أفكر فيه على الدوام. بعد تلك المحادثة، قام جون بإشراك فيصل في ركلة البداية لإحدى مباريات كرة القدم، ومن ثم؛ وجدتُ حصاناً مناسباً لفيصل؛ ليشترك في أحد مهرجانات الخيول، فبدأ العراقيون يدركون أنه ليس شخصاً ضعيفاً.

إذا كانت إحدى المعضلات قد تلاشت أو اضمحلّت، وأصبح فيصل معروفاً أكثر للناس، إلا أن المعضلة الرئيسية كانت - وما زالت قائمة - تلك هي العادة القديمة، باعتماد العائلة المالكة على المُمرّضة

والطبيب، وما لذلك من آثار سلبية. لم تملك الملكة الثقة بنفسها، ولم تكن ترى المدى الشامل لمسؤوليات فيصل، ولا واجباته للمستقبل كملك، معتمدة - كما أظن - بأنه سيكون تحت حماية الإنكليز، وسيكون ملكاً - ربما - بالاسم فقط.

أحد الأشياء الأولى التي استطعتُ القيام بها هي تكوين بعض الصداقات بين فيصل والوصيّ مع بعض الضباط الإنكليز، كان هذا جيداً لفيصل؛ لتُبعده عن الحضانة. ثم صدرت تعليمات على جميع صنوف ومراتب القوات البريطانية بتحية الملك بالتحية الرسمية، هذا ما منح فيصلاً شأناً بين العراقيين، كان ذلك يجري - في العادة - من قِبل البعض، لكنْ؛ الآن أصبحت الأوامر صارمة. وكان هنالك - أيضاً - دعوة إلى فيصل والوصيّ لزيارة البعثة الأمريكية والسباحة في حوض السباحة هناك.

وكان هناك أشياء أخرى، ربما غير مباشرة في مصلحة فيصل، لكنها كانت تجعل الحياة أكثر يُسراً ولُطفاً في القصر، وقطع دابر الانعزال عن الجالية البريطانية. فعلى سبيل المثال، بدأت بعض سيدات السفارة بزيارة الملكة والأميرات. في ذلك الوقت، قامت الكاتبة فريا ستارك بزيارة الملكة، مصطحبة معها مساعدتها المرحة السيدة هوير روثفين. وأصبح هناك دروس أكثر في اللغة الإنكليزية إلى الأميرات، قامت بها السيدة مولي روش، ومن بعدها السيدة وولكر، زوجة الملحق التجاري. وكانت وصيفتهم الآنسة لوسي - سميث قد أصبحت سكرتيرة في القاعدة الجوية الملكية في الحبانية. فأصبح هناك الكثير من الحراك، لكني كنتُ على يقين أن هذا لن يُعجب حكّام الحضانة.

16
المشاكل مع المُمرَضة

عند رجوعي من مقرّ البعثة الأمريكية، أخبرت الوصيّ بشكل علني، وبوجود سندرسون، برغبتي في الاستقالة من منصبي كمُربّية، فلا أريد أن أشارك في هذه الطريقة في تنشئة فيصل. طلب الوصيّ بلطف مني الاستمرار في العمل، مؤكّداً لي بأن الأمور ستتحسّن. وكان هناك بالفعل بعض التحسّن، لكنْ؛ ليس في كل شيء. فعلى سبيل المثال، منذ مدة طويلة، وأنا أشعر أن فيصلاً لا ينال الوقت الكافي من النوم، فقد علمتُ أنه يبقى متأخّراً عن النوم لعدة ساعات بعد العشاء، يستمع إلى الراديو، وأظن ذلك من أجل أن ينام طوال الليل، فهو ما زال يُعامَل كأنه رضيع. كان مؤلماً أن أرى أن الدكتور سندرسون يحاول التقليل من انتقاداتي، وما أطرحه من أجل تحسين الأمر، إلى أنه خلاف شخصي بيني وبين الآنسة بورلاند.

أخبرتُ الوصيّ خبر خطوبتي إلى جون، فقال: إنه يأمل أن يكون جون معلّماً إلى فيصل، وطلب مني أن أرتّب ليحضر جون إلى القصر على قدر استطاعته لتعليم فيصل. وأصدر الأوامر إلى حرّاس البوابة بالسماح لسيارة جون بالدخول، وهذا - بالطبع - كان امتيازاً كبيراً. لكنْ؛ في اليوم

الأول للموعد الذي ضربتُه لقدوم جون والخروج سوية في ركوب الخيل، تحرّكت المُمرّضة - وبسرعة - نحو الملكة والأميرة الكبرى؛ لتُقنعهم بأن عين جون تُصيب، وأن فيصل - فعلاً - أُصيب بالعين، فانطلقت به نحو السرير، فكان عليّ أن أخبر جون بالذهاب.

وتم إحضار منقلة للفحم، وإحراق بعض خصل من الشعر من رؤوس الحاضرين، مع تمتمة لبعض التعويذات. كان من الصعب عليّ تصديق هذه القصة الغريبة، لم أكن أصدّق أن هذا يحصل أمامي. لقد شعرتُ بنهاية نطاقي، وبحاجتي الماسة إلى إجازة.

17
الزواج

وأخيراً حصلتُ على إجازة؛ خمسة أيام شهر عسل في كردستان. أنهيتُ التدريس في الساعة الثانية عشر ونصف بدلاً من الواحدة إلا ربع في ذلك اليوم لهذه المناسبة، ثم ذهبنا إلى كنيسة سانت جورج؛ حيث تم زواجنا أنا وجون من قِبل القس جارلس روش. تمّ تزيين الكنيسة بالورود من قِبل السيدة فاغنر (السويسرية المسؤولة عن إدارة القصر)، وقدّم لي باقة من الورود عند وصولي، وكان قد استصحبني وقدّمني القاضي ريتشارد. أما حفل الاستقبال؛ فكان في حديقة بيت السيد كرافتين وشقيقته؛ حيث تناثرت الأزهار والورود، مع تفتّح أزهار الربيع في نيسان بغداد، وكما ذكرت جريدة «الأوقات البغدادية» «كانت مظاهرة من الألوان»، ووصفتها «حفلة عرس من الورود»، وحتى كيكة العرس «صُنعت من قِبل طبّاخ جلالة الملك فيصل» قد زُيّنت بالأزهار، وبالورود، ووُضعت بين أواني من الزهور. كان بين الضيوف معالي الأمير زيد بن الشريف حسين، وكذلك مجموعة من ضباط كلية الأركان في الجيش العراقي.

18
الرحيل

كنتُ على أمل أن يصبح فيصل فارساً جيداً، فعندما حصل على حصانه الجديد، أخذتُه مع السايس محمد علي للتدريب في مدرسة الفروسية الصغيرة. لكني كنتُ في قلق، كما أخبرت محمد علي: «في بريطانيا، يكون المعلّم على حصان، يقود إلى الأمام في لجام الطفل وحصانه، وليس راجلاً، في يوما ما، سيكون هناك حادث». وهذا ما حصل: فعندما تعثّر السايس في أرجل حصان فيصل ساقطاً إلى الأرض سبب في سحب لجام الحصان تحت فيصل، ممّا أدى إلى خوف الحصان، وجعله ينطلق بسرعة حول الحلبة، ليسقط فيصل إلى الأرض. لم يتعرّض فيصل إلى الأذى، فقط سقط على كتفه، ولم تسقط القبعة السميكة من على رأسه. سألتُه بالطريقة التقليدية الواثقة: هل ستحاول الركوب مرة أخرى؟ أجاب فيصل: «بالطبع». لكني فكّرتُ ربما من الأفضل الحذر واتخاذ خيار السلامة، فهو – على أي حال – ملك. فقلت له: «ربما من الأفضل العودة إلى القصر بالسيارة، وترك الخيول لإرجاعها مع السايس. فطلب فيصل إذا كان بالإمكان الذهاب لمشاهدة الدبّابة البريطانية التي انقلبت قبل الرجوع إلى القصر.

عند العودة إلى القصر، أخبرت المُمرّضة أن فيصل تعرّض إلى سقطة بسيطة من على الحصان في الصباح، وقد تقبّل الأمر بشكل جيد. بعد الفطور، ذهبتُ إلى غرفة الدرس، أنتظر وصول فيصل، فلم يأتِ، فصعدتُ إلى دار الحضانة، فوجدتُ فيصلاً في سريره يلعب ويمرح في الألعاب التي وُضعت حوله.

في الوقت الذي وصلتُ فيه إلى الحضانة، كانت المُمرّضة -وبصحبة الطبيب- قد وصلا إلى السفارة، لإعلامهم بالحادث الفظيع الذي تعرّض له فيصل. فلم يمهلوا أنفسهم بضع ثوان لهذه الأخبار السارة، لقد كنتُ متهوّرة وطائشة، وبدون اعتبار إلى سلامة الطفل. وهل هناك دليل أوضح من أن يسقط فيصل من على ظهر حصانه؟!

أدت هذه الحادثة بالأمر إلى المواجهة، ورأى جون - وبوضوح - أنْ ليس في الإمكان - بعد الآن - تدريس فيصل وتحمّل مسؤولية تربيته في هذا المناخ العدائي بتأثير المُمرّضة والطبيب في القصر، والادعاء بوسائل كالإصابة بالعين، واستغلال سقوط فيصل العرضي لمصلحتهم الخاصة. ذهب جون إلى السير كينهان كورنواليس، وطلب منه المساندة مع القصر، من أجل الاستمرار في هذا المنصب، يجب أن تُزال هذه التأثيرات. فكان جواب السفير أنه لا يستطيع التدخّل في الأمر. عندها؛ قرّر جون ترك العراق والقبول بالعرض الذي مُنح له أخيراً، للعمل في المركز الثقافي البريطاني في مدينة القدس في فلسطين.

بالنسبة للوصيّ، كان الموقف واضحاً، فهو لا يستطيع عمل شيء دون استشارة السفارة. أما الملكة؛ كان من السهل تخويفها بالمخاطر التي قد تلمّ بفيصل، ولم يكن بإمكانها فقدان ما يوفّر لها الأمان، كان من الطبيعي أن تتشبّث بما تُعلّمه، وما اعتاده عليه لفترة طويلة، هؤلاء الذين طوّقوا فيصلاً بالقطن، وجعلوه معزولاً عن شعبه. أظن أن صبياً في الخامسة من عمره لا يستطيع الجري، ما هذه الحالة المقلقة التي أوصلوه لها. أَلم تكن حتى تفكّر كيف سيكون مستقبل فيصل؟ ربما لأسباب مفهومة لم تكن. وليس أقل إدراكاً من قِبل السير كينهان.

بعدما غادرنا بغداد، وأصبحنا في القدس، كنتُ حزينة لما سمعتُ من أن ذات الطريقة الغبية في تربية فيصل قد عادت، كما في السابق. وقد زاد حزني عندما كنتُ أفكر كيف تأقلم بسرعة مع هذه الطريقة في التربية. فلم يكن يسمح له باللعب مع الأطفال، فقط؛ مع حرسه الخاص، وعندما تكون هناك ألعاب منافسة، كان لابد أن يكون هو الفائز. لو كان جون قد أصبح معلماً له، كان لاشترط أن يتعلّم مع العراقيين، وتحت يد العراقيين. وبما وهبه الله كان لفيصل ليكون محبوباً جداً من قِبلهم. عندما كبر، أُرسل فيصل إلى مدرسة تمهيدية إنكليزية، ثم دخل في كلية هارو (مثل والده). وفي سنة 1958 عندما كان في الثالثة والعشرين من عمره، تم اغتياله مع عبد الإله والحرّاس.

القسم الثاني

ذكريات مايكل آرنولد
من أصدقاء الملك فيصل الثاني

مايكل آرنولد :

في سنة 2003 صدر كتاب باللغة الإنكليزية بعنوان «لعبة بالنرد، رحلة صبي عبر ثلاث ثقافات» للكاتب مايكل آرنولد (1932-2007)، والثقافات الثلاث المقصودة في العنوان، هي البولندية في طفولته في بلده الأم بولندا، ثم الثقافة العربية في صباه في بغداد والقاهرة، وأخيراً الثقافة البريطانية حين انتقل للدراسة في إنكلترا في أول شبابه.

وُلد آندري كرونمان في سنة 1932 في مدينة لودز في وسط بولندا، لعائلة يهودية ثرية، كان الأب هنريك كرونمان يشتغل في التجارة، ويدير إحدى الصحف البولندية المعروفة. أما والدته إيزبيلا بيالير؛ فكانت قد درست الموسيقى في برلين، وأصبحت - ضد رغبة والدها - ممثلة سينمائية قبل زواجها، وكان والدها - وهو من يهود بولندا - أحد أثرياء مدينة لودز، وصاحب العديد من المعامل فيها.

توفّي الأب هنريك كرونمان في سنة 1937 بأزمة قلبية حين كان في زيارة إلى باريس، وبدأت الأم تعمل بإدارة وتحرير إحدى الصحف البولندية المعروفة بتوجّهاتها المعادية للنازية الألمانية، ممّا أوقعها في محنة بعد احتلال القوات الألمانية للأراضي البولندية في خريف 1939.

لم يكن أمام إيزبيلا وولدها الصغير آندري سوى الهرب من بولندا، ولم يكن لهم من ملجأ سوى أختها بولينا التي تعيش في بغداد مع زوجها الطبيب لدى العائلة المالكة، الدكتور ماكس باشا.

قصة الهرب - كما يصفها مايكل آرنولد في الكتاب - كانت مثيرة ومفزعة عبر الأراضي البولندية والنمساوية والجيكية، وجميعها تحت سيطرة القوات الألمانية حتى وصولهم بأمان إلى ميلانو في شمال إيطاليا، بهيئة وثياب رثة وبالية وجيوب خاوية. من هناك، أبرقت إيزبيلا إلى الدكتور ماكس باشا في بغداد لطلب المعونة المالية لنفقات السفر عبر البحر المتوسط إلى بيروت، ومنها عن طريق دمشق، في حافلات نيرن العملاقة إلى بغداد.

كان الطبيب ماكس ماكوفسكي القادم من مدينة بياليستوك على الحدود الروسية - البولندية قد درس الطب في جامعة فيينا، وانضم إلى جيش القوقاز في الحرب الكونية الأولى؛ حيث انتهى به المطاف في الخدمة في الحجاز كطبيب للعائلة الهاشمية. وبعد انتقال الملك علي، الأخ الأكبر للملك فيصل الأول، إلى العراق بعد دخول قوات ابن سعود الحجاز، كان ماكس ضمن تلك الحاشية التي استقرّت في العراق[*].

* بقي ماكوفسكي في العراق بعد هجرة اليهود من العراق سنة 1951، وكان من المناهضين للحركة الصهيونية، ويُذكَر أن عيادته كانت في شارع المتنبي. يصف المؤلف ماكس باشا بأنه شخصية روبن هودية، فهو يبتزّ الأغنياء بأجور عالية في عيادته، ويعالج الفقراء بالمجان.

لم يطل الأمر كثيراً؛ ليتأقلم آندرو (هكذا أصبح اسمه في الإنكليزية) وإيزبيلا في مناخ المجتمع الأوروبي في بغداد، فبولينا زوجة الدكتور ماكس باشا، كانت لولباً لتلك الحفلات الموسيقية والسهرات الاجتماعية والدعوات المتنوعة. وكان بيتهم في العلوية مسرحاً لأغلب تلك المناسبات، فخُصّص ظهر يوم الثلاثاء مثلاً للسيدات؛ حيث تحضر للغداء مجموعة من السيدات الأجنبيات، سواء من المقيمات في بغداد أو الزائرات إلى المدينة، وكان مساء يوم الأربعاء للعب البريدج؛ حيث ينصب ما لا يقل عن أربع طاولات للعب، فتحضر شخصيات دبلوماسية وسياسية ومهنية مع زوجاتهم. يتخلّل الأمسية عشاء فاخر وأحاديث ونقاشات متنوّعة. أما عصر الخميس؛ فخُصّص للموسيقى الكلاسيكية، فإيزبيلا وبولينا تجيدان العزف على الكمان، وينضم إليهم البرفسور هيرتز النمساوي على البيانو، والسيد أرشد العمري، أمين بغداد، على الجلو، وأخيراً؛ الملحق السويدي على الكمان الأوسط، فتعزف مقطوعات لموتزرت وبيتهوفن وغيرهم، مع أقداح الشاي ومأكولات بسيطة في فترة الاستراحة.

وبالإضافة إلى التحاق آندرو بالمدرسة، فإنه كان يتردّد على نادي العلوية القريب للعب والسباحة، فأصبح يجيد التحدث بالعربية، وكذلك الإنكليزية، وأصبح له العديد من الأصدقاء العراقيين والأجانب. وبعد بضعة شهور من الإقامة في بغداد، أخبره الدكتور ماكس باشا : «لقد حان الوقت - الآن - لتتعرّف على الملك الصغير، لقد رتّبت لكَ موعداً للزيارة». ونترك آندرو يتحدّث عن تلك الصداقة مع ملك العراق، كما وردت في ذكرياته.



جلالة الملك فيصل الثاني في سنة 1943

1
زيارة القصر الملكي

هناك اثنان من القصور الملكية في بغداد: قصر الزهور؛ حيث يعيش الملك مع مُربّيته والموظّفين، بالإضافة إلى الملكة الأم، وقصر الرحاب(*)، ويعيش فيه أخوات الملكة، وفي بعض الأحيان الوصيّ، خال الملك.

جلالة الملك فيصل الثاني كان في السادسة من عمره، يصغرني بثلاث سنوات، وكان مثلي يتيم الأب. كان فيصل الملك الثالث من العائلة الهاشمية في العراق، عمّه الأكبر عبد الله، ملك شرق الأردن، كان المريض الأول من العائلة المالكة إلى عمّي الطبيب ماكس باشا في العشرينيات، والذي وهبه بعض المجوهرات لتسهيل زواجه من خالتي. أصبح أحد أبناء عبد الله ملكاً على الأردن، وبعدها؛ انتقلت إلى حفيده الملك حسين، أما في العراق؛ فأصبح أخوه الملك فيصل الأول ملكاً، ومن بعده أصبح غازي الأول ملكاً على العراق.

كان الملك غازي شاباً أنيقاً، متزوجاً من سيدة كريمة رائعة، والتي أصبحت أماً لفيصل الثاني. لسوء الحظ، كانت إحدى هوايات الملك غازي

* ذكر المؤلف خطأً اسم القصر الأبيض. وقصر الرحاب يعود إلى الأمير عبد الإله وعائلته.

امتلاك سيارات السباق السريعة (وكانت لديه مجموعة رائعة)، كانت سبباً لمقتله في حادث قيادة فائقة السرعة، تاركاً أرملة شابة، لا عزاء لها، وطفلاً صغيراً. انتقلت إدارة الدولة بعد مقتله إلى الأخ الأصغر للملكة، الأمير عبد الإله، فأصبح الوصيّ حتى بلوغ ابن أخته الثامنة عشرة من عمره.

جاء اليوم الكبير لزيارة الملك، فكانت والدتي وخالتي على أعصابهما، مع سيل من الإرشادات والنصائح المتلاحقة بحُسن التصرّف والتزام الأدب، بأن أدعو الملك «جلالتك ..»، لا أحكّ أو ألعب بأنفي، لا أتحدّث أولاً، بل فقط أُجيب إذا سُئلت، وهكذا. أما العم ماكس؛ فكل ما قاله: «لا تهتمّ، إنه صبي لطيف، وستقضي وقتاً ممتعاً معه».

في الساعة الثانية بعد الظهر، كنتُ أنتظر قدوم السيارة، في وضع غير مريح في قميص أبيض (مكويّ بشكل جيد)، مع سروال قصير أبيض (من قماش متكلّس بشدة، مع كسرة حادة)، جوراب بيضاء في حذاء صيفي ملمّع. جاءت سيارة العمّ ماكس، فاندلستُ إلى المقعد الخلفي بعد أن أصرّت والدتي على تمشيط شعري مرة أخرى مع بعض الترتيب في هذا الشيء أو ذاك.

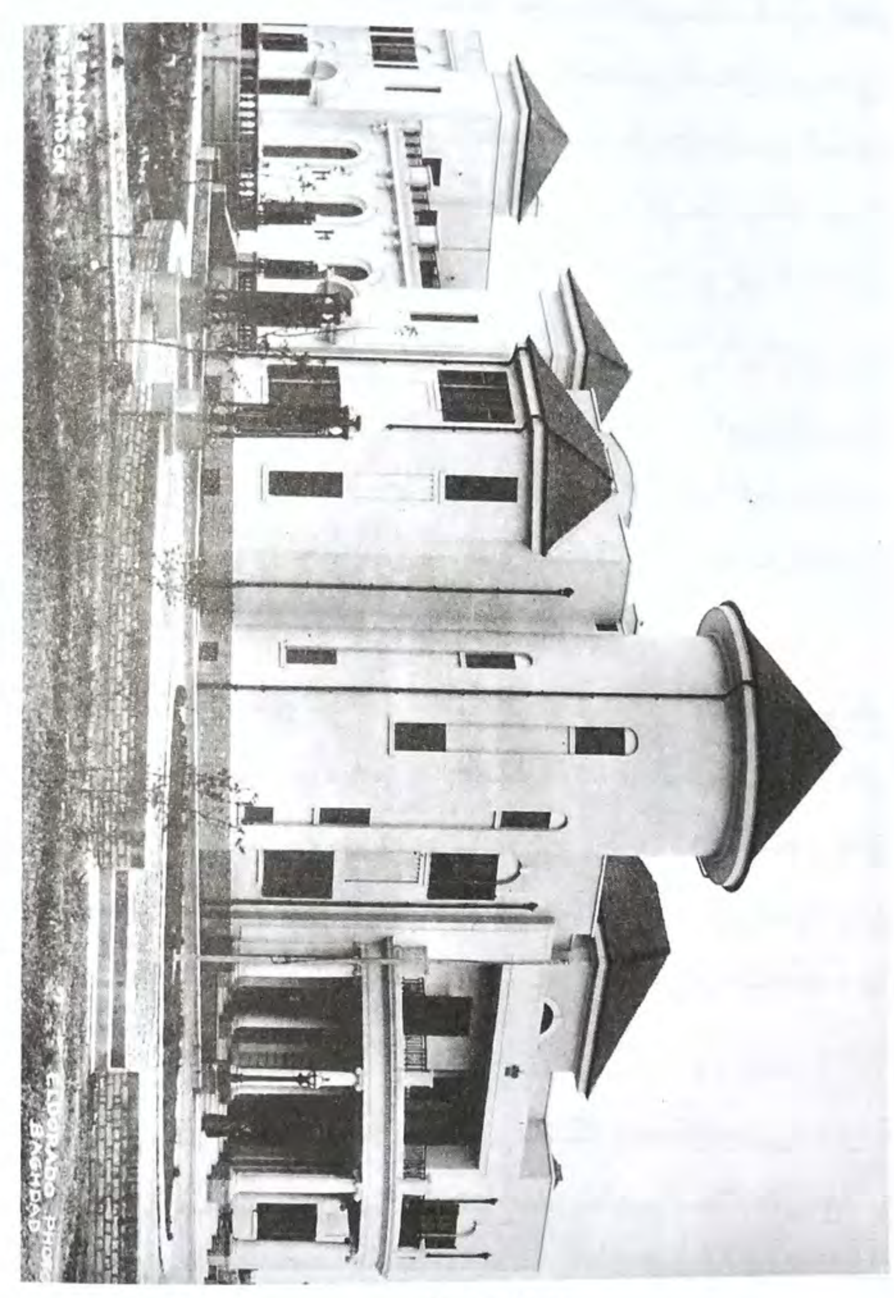
انطلقت بنا السيارة باتجاه المدينة، فعبرنا الجسر، واتجهنا إلى الجنوب في طريق جميل مصفوف بالورود نحو القصر. الذي كان بارزاً من مسافة ما، بناية بيضاء كبيرة مع بعض الأبراج والمنارات. كان البياض مذهلاً حقاً، ولامعاً كاللؤلؤ في جزيرة خضراء، وعند اقترابنا كنتُ أرى السور العالي الذي يحيط بالحدائق والقصر.

توقّفت السيارة على بوابة القصر الحديدية المزخرفة، فتقدّم أحد الحرّاس المسلّحين قاطب الجبين، وشاهراً سلاحه نحو السائق، فعرفه في الحال، فتحوّل التجهّم إلى ابتسامة، وبعد التحية والسلام، أخبره السائق بأني قريب الدكتور ماكس، وجئتُ للسلام على الملك، وهناك موعد مسبق. فرحّب بنا، ونظر نحوي قائلاً: كُن لطيفاً مع الملك، فهو لا يحظى بكثير من الزائرين، والذين يحضرون ليسوا - في الحقيقة - مرحين.

فُتحت البوابة، فظهرت الحديقة الواسعة المليئة بالزهور والمحيطة بالقصر، الذي بدا أكبر حجماً من قريب. توقّفت السيارة أمام رواق من الأعمدة الضخمة التي تطلّ على سلالم واسعة، كل شيء ناصع البياض، ولامع كالرخام، وهناك بساط أحمر عريض في وسط السلالم.

عند اقترابنا، ظهر شخص متألّق بشكل كبير على أعلى السلم، نظر إلي من أسفل منخره، وأنا أقفز من السيارة متسلّقاً السلم متحاشياً قدر الإمكان الخطو على السجاد الأحمر، محدّقاً نحوي بتعالٍ. كان يرتدي سروالاً أحمر واسعاً، مع سترة زرقاء داكنة مزيّنة بالشرائط المذهّبة، وفي الوسط، نطاق واسع من قماش ذهبي، و يعتمر قبعة زرقاء داكنة، يُلفّ بها قماش أبيض. لاحظتُ أن له قدمين صغيرتين.

«هل أنت من بيت الدكتور ماكس باشا؟» محدقاً نحوي بدون أية رمشة عين، واضعاً يديه إلى الخلف. «هل جئتَ لتقديم السلام على جلالته (يحفظه الله)»؟ كان يتكلم بعربية فصحى وببلاغة، فهمتُ منها - فقط - جوهر السؤال.



مدخل قصر الزهور

«نعم، صاحب المعالي»، أجبتُه واضعاً في بالي التعليمات بأن أكون في غاية التأدّب. في هذه اللحظة، كان السائق أحمد قد غادر، قاطعاً عليّ السبيل، بلعتُ ريقي قائلاً: «عمّي الدكتور ماكس باشا بعثني؛ لألعب وأُسلّي الملك.»

«ناديني بالسيد علي، وليس صاحب المعالي»، قال بعد قليل من الاسترخاء، مع هزة في رأسه في تحية متغطرسة. دخلنا من الباب الرئيسي للقصر نحو صالة كبيرة ذات سقف عال مزيّن بالنقوش، وأرضية رخامية لامعة مغطّاة بالسجاد الإيراني الرائع. الجدران مزينة بالرخام الأبيض، في نمط يتدلّى بين العديد من الأبواب المفتوحة. وهناك ممرّ ضيّق من أعمدة بيضاء على جانبي الصالة على مسافة عشرة أقدام من الجدران. من تلك الأبواب المفتوحة، يمكن رؤية الغرف الواسعة مع العديد من السجاد والأثاث اللامع. وهناك ثريات ضخمة تتدلّى من سلاسل طويلة من السقوف، مزيّنة بعدد لا يُحصى من الزجاجيات التي تتغامز وترتعد في همسة التيارات الهوائية.

تابعتُ خطوات السيد علي عبر الصالة، وخلال أحد الأبواب المفتوحة في نهاية الجهة البعيدة. في هذه الغرفة، التقينا ثلاثة جنود ضخام الجثة، أحدهم كان عريفاً، تقدّم باتجاهي ناظراً إلى الأسفل نحوي من ارتفاعه الشاهق، ربما مترين تقريباً، يلبس بدلة الخاكي العسكرية في غاية النظافة والأناقة، وشاربه الأسود الكثيف يمتد بعيداً عن خدوده، مشمّع ومدبّب.

أمر العريف السيد علي بالذهاب، وأمسك بقبعته قائلاً: «أنا العريف عبد الله، حياة الملك هي حياتي، وأنا خادمه وصديقه، وهذان الجنديان حماد وحميد هما هنا لمساعدتي، لا تهتمّ بوجودهما، فهما غير مهمّين»(*). أومأ كلّ من حماد وحميد برأسه مبتسماً. يحمل الثلاثة مسدسات كبيرة على خصرهم، مع حبال من عقب المسدس تُلفّ حول الأكتاف، وحزاماً مليئاً بالطلقات، مع بندقية نصف آلية نوع تومبسون، كنتُ أعرفها من قراءة مجلات الأطفال خلال الحرب.

«تعال، لآخذك إلى جلالته» قال العريف عبد الله، «فهو ينتظرك، لقد حدّثني عنك». كان عليّ أن ألحق بخطوات العريف الطويلة نحو الغرفة التالية، وهذه صالة واسعة أخرى، مؤثثة بشكل جميل، ويقف على جانب الشباك صبيّ صغير في قميص أبيض وسروال رمادي قصير. كان ممتلئاً بعض الشيء، ولا يصل إلى طولي، ذا بشرة حنطية متجانسة، وعينين سوداوين واسعتين، شعره الأسود ممشّط بعناية، وملابسه مكوية بشكل جيد. تقف إلى جانبه سيدة طويلة ونحيفة، كبيرة في العمر، ترتدي بدلة زرقاء داكنة، مع حزام أبيض عريض مع مشبك معدني معقّد. تضع قطعة قماش بيضاء على رأسها، تشبه - إلى حد ما - إحدى الممرّضات، كنتُ قد رأيتها سابقاً. كانت امرأة إنكليزية، وبادرت بالتحدث بهذه اللغة: «أنت آندرو»، قالتها كتصريح، وليس كسؤال، وكان علي أن أدرك أن الآنسة

* ربما أسماء الجنود عبد الله، حماد وحميد غير حقيقية. لقد ذكر أحمد فوزي في كتابه «الملك فيصل الثاني» بأن مرافق الملك الذي لازمه من عام 1940 وحتى وفاته، هو رئيس العرفاء ناصر سلمان.

بورلاند (وهذا كان اسمها) لا تعرف الأسئلة، وإنما - فقط - إعطاء التصاريح. وهي - بالطبع - المُربّية المشهورة التي حمَت الملك خلال فترة انتفاضة مايس. الكل في بغداد (وربما في الشرق الأوسط) يدعونها بـ(ناني)، ويخاف منها. «سوف تدعوني بـ (ناني)، وتعمل كما أقول لك».

دارتْ نحو الصبي على جانبها، «هذا هو آندرو، فيصل. آندرو، هذا هو جلالة الملك فيصل الثاني، لكنْ؛ يمكنك أن تناديه فيصل. فيصل صافح آندرو». فيصل الذي كان خلف ناني عبس بوجهه نحوي مادّاً يده، فصافحتُه.

نادت ناني على العريف عبد الله، الذي كان واقفاً عند الباب، قائلة: «يمكنكَ الذهاب». غمزني العريف، وقدّم التحية قبل أن يستدير على كعب رجله، ويقوم بالمسير بشكل مبالغ فيه، خارجاً من الغرفة، فاستهجنت ناني من ذلك.

«أنتما الاثنان، يمكنكما الذهاب للعب في غرفة الألعاب لمدة نصف ساعة، بعدها؛ سنأخذ الطعام، تذكّرا غسل أيديكما قبل الطعام». انطلق فيصل نحو الباب، وتبعتُه أنا، سرنا خلال ممرّ قصير إلى غرفة متوسطة الحجم، لها أرضية جرداء، ولها خزائن في الجدران، كانت أبواب بعض منها مفتوحة، وكنتُ أرى أشياء مذهلة، لم أكن قد رأيتُ مثلها من قبل. فهناك القطارات والسيارات والجنود ومجموعات الأبنية وكل أنواع الألعاب. وكان هناك منضدة مع بعض الكراسي في إحدى زوايا الغرفة.

لعبنا بشكل عفوي مع بعض السيارات، وكنا نتحدث في معظم الوقت، أخبرته عن بولندا التي لم يسمع بها من قبل، وعن ذهابي إلى

النادي والسباحة. وتحدث فيصل عن حياته الرتيبة والمملّة، وقال إنه لا يحبّ خاله الوصيّ، لكنْ؛ يحبّ أمه كثيراً، ووعدني بمقابلتها. وذكر كذلك أن العريف عبد الله جندي جيد، وصديق له. وقال «إنه بجانبي»، فلفيصل طريقة طريفة في تقييم الأشخاص، فهم إما بجانبه، أو في الجانب الآخر. فخاله الوصيّ في الجانب الآخر، بينما عمّي ماكس، فبجانبه. لم يكن فارق العمر مشكلة بيننا، فلفيصل مهابة تلقائية، أظن أنها لقنت له منذ طفولته تعطيه ميزة في السلوك تفوق عمره.

حان وقت الطعام، فقدمت ناني، وطلبت منا الذهاب لغسل أيادينا، والعودة إلى غرفة الألعاب. جلسنا حول الطاولة التي وُضع عليها فرشة بيضاء، ثم حضر اثنان من العبيد طويلا القامة، بملابس بيضاء، مع شرائط وقبّعات حمراء، حاملين صواني فضية كبيرة، تحمل أباريق الشاي الفضية، وقوارير الحليب، وما إلى ذلك. كان هناك صحون من الخبز والزبد، ورقائق خفيفة من الخيار والطماطم في سندويشات، وقد قُطعت الحافات السميكة، كأنما ليس لنا أسنان. كذلك قالب من الكيك العادي مع أقداح الشاي الرقيقة، وقد رُسم عليها بعض الزهور. ليس على الإطلاق كما تصوّرت أن تكون وليمة تليق بملك، لم يكن هناك طعام في الحقيقة.

جلستُ هادئاً واضعاً يديّ في حضني. رمقتْني ناني بعينيها الحادتين الزرقاوين، قائلة: «اجلس، باستقامة آندرو، لا تحني ظهرك، سوف لن يكون لك ظهر مستقيم، إذا استرخيتَ هكذا». كشّر فيصل، فرأت ناني ذلك قائلة «فيصل، كنْ مؤدّباً، عليكَ أن تكون قدوة».



مايكل آرنولد في سنة 1943



الدكتور ماكس باشا ماكوفسكي



لينا زوجة الدكتور ماكس ماكوفسكي



إيزابيلا والدة مايكل آرنولد

تناولنا الطعام، بعض من الخبز والزبد قبل أن يْسمح لنا بتناول السندويش، وبعدها؛ قطعة باهتة من الكيك. كنتُ ما زلت جائعاً حين انتهينا، كما كنتُ عندما بدأنا الطعام. وكانت ناني تراقبني طوال الوقت، تنفخ وتشخر مع كل تصرّف غريب الأطوار من عاداتي البولونية، ولخّصت مشاهداتها في النهاية بالقول: «كل شيء بعيد عن التقاليد الإنكليزية».

شكرنا ناني، أنا وفيصل، على وجبة الطعام، فأخبرتنا بإمكاننا اللعب لساعة أخرى قبل أن تأتي السيارة لتأخذني إلى البيت. قال فيصل بسرعة بعد أن غادرت ناني: «تعال .. لا تُظهر أيّ صوت». فأخذني عبر الممرّ إلى الغرفة؛ حيث الجنود الثلاثة، العريف عبد الله والآخران غير المهمّين، وكانوا يتناولون طعامهم. طعاماً حقيقياً، صحن كبير من المرق باللحم، مع كومة من الخبز العربي، هذا هو الطعام، ليس تلك السندويشات التافهة.

نهض العريف واقفاً، وتبعه الآخران، «مرحباً بكما، هلمّا لتأكلا معنا، هذا أكل الجنود والرجال». بالطبع؛ هو على علم بطعام القصر، وكان واضحاً لي أن فيصل أعتاد الحضور إلى هنا، كلما تخلّص من ناني. جلسنا معهم على الأرض بشكل دائري، فأكلنا بنهم ذلك الطعام اللذيذ. كان الرجال الثلاثة يتطلّعون بمحبة نحو فيصل، وكنتُ أشعر بالغبطة معهم في أحاديث وتسالي منوعة. فجأة سمعنا صوت ناني من بعيد، نهضنا أنا وفيصل، وركضنا خارج الغرفة، في تلك اللحظة، ظهرت ناني تتخطّى في الممرّ. قالت: «كنتما مع هذا عبد الله، كم مرة أخبرتكَ بأن لا تقضي وقتكَ مع هؤلاء الجلفاء، العاميين؟! إنهم - فقط - حرّاس لك، علينا أن نتعامل

معهم، ولكنْ؛ هذا لا يعني ...» تخافت صوتها حين لاحظت بقع المرق على قميص فيصل الأبيض. فنادت : «سيد علي» وحين ظهر الرجل الصغير، أردفت : «خذ السيد آندرو إلى السيارة، فيصل صافح آندرو، وقل الوداع». صافحتُ فيصلاً، وبكل أدب، شكرتُ ناني على الوقت الممتع. وأنا أغادر، قال فيصل «أرجو أن تزورني مرة أخرى»، وكنت أرى ناني ممسكة بذراع فيصل، وأسمعها وأنا أسير خلف السيد علي نحو الباب الرئيسي: «الآن، فيصل، أرى بقعاً على قميصك...»

عدتُ إلى البيت، وكنتُ أفكر بالكثير من الأشياء، أخبرتُ أمي وخالتي بعد التحقيق معي، بأني مقتنع بحياتي، وليس لي رغبة بأن أصبح ملكاً. والأمر الآخر يجب علي - كما يفعل فيصل - أن أعرف مَن هو بجانبي، ومَن هو بالجانب الآخر.

تكرّرت زياراتي إلى فيصل أسبوعياً خلال العطلة، بالطبع؛ شعرت ناني بالثقة نحوي، وإن كان هذا لم يمنعها بأن توبّخني كل ما أمكن، كما تفعل مع فيصل. وتعمّقت صداقتي بعبد الله، وأصبحتُ أدرك الحب والولاء الكبير الذي يكنّه إلى الملك الصغير.

من وقت لآخر، كنا نلعب في حدائق القصر، في تلك الممرّات العديدة، وبعض المتاهات البسيطة. وكانت المتعة الكبرى في قيادة السيارات ذات الدوّاسات؛ حيث يطيب لفيصل القيادة بجنون على طول الممرّات، وبشكل مقلق في بعض المنعطفات، وغالباً ما يساهم عبد الله بمساعدة فيصل بالدفع نحو خطّ النهاية. منظر لا يُنسى للعريف الضخم،

وقد انحنى إلى النصف، ووجه الأحمر من دفع سيارة فيصل، بينما يغصّ كلّ من حماد وحميد في نوبة من الضحك المتواصل.

في إحدى الزيارات، أخذني فيصل للقاء أمه. مشينا في طريق طويل، في جزء من القصر، لم أره من قبل، ودخلنا غرفة رائعة الجمال، ليست كبيرة، لكن كل شيء من الحرير، الكراسي مغطّاة به، الستائر مصنوعة منه، وحتى السجاد الإيراني على الأرض وعلى الجدران من الحرير، وبألوان من الأزرق الفاتح ونوع من الوردي الفاتح. قد لا تكون من الألوان التي أحبّ لغرفتي، لكنها - كما يبدو - تليق لمقام الملكة الأم.

كانت الملكة تجلس على أحد الكراسي المذهّبة مع اثنتين من السيدات متوسطتي العمر، وقد ارتديتا ملابس أنيقة، مع حجاب، والكثير من الذهب. بدت أم فيصل امرأة يافعة، وجميلة، ونحيفة، ترتدي ملابس متواضعة، في ثوب رمادي اللون من الحرير، وقد وضعت شالاً مزركشاً، يغطّي شعرها. لها وجه بيضوي حنطي متجانس، مثل ولدها، ولها عينان واسعتان وداكنتان، أشرقت، حينما رأت فيصل.

«يسعدني أن أراك، ولدي»، قالتها بالعربية، «هل أتيتَ بصديقك لكي يراني». حضنها فيصل قائلاً : «هذا آندرو صديقي من بيت الدكتور ماكس، فهو عمّه».

قدّمتُ انحناءة عميقة، ضحكت الملكة. «مرحبا آندرو، من بيت صديقنا الدكتور ماكس، أنا سعيدة بأنك أصبحت رفيقاً إلى ولدي، مثل ما سمعتُ».

ناني التي رافقتْنا في الزيارة قالت: «جلالة الملكة، آندرو، ولد مؤدّب ومطيع إلى حدّ ما، لا مانع لدي من لقائه فيصلاً، واللعب سوياً».

رفعت الملكة حاجبها، ونظرت إليّ قائلة: «هممم»، ثم أكملت: «إذا كنتَ حصلتَ على هذا الإطراء من ناني، فلابد أن تكون -في الحقيقة- مثالياً».

قدّمتُ انحناءة ثانية، وقلتُ : «جلالة الملكة، إن عمي باشا من الدرجة الأولى، فلابد أن أستحق هذا. وإن كنتُ لستُ مثالياً، فليس هناك أحد مثالي، فوالدتي وخالتي تقولان إني بعيد كل البُعد عنها».

ضحكت الملكة، ثم قالت: «تعال هنا، قريب الباشا»، وحين تقدّمتُ نحوها، حضنتْني بحفاوة قائلة: «أنا سعيدة جداً بقدومك واللعب مع ولدي، لا تناديني جلالة الملكة، أنت - الآن - صديقنا، ويمكنك أن تناديني بأم فيصل».

حينما عدتُ إلى البيت في ذلك المساء، ورويتُ إلى أمي وخالتي عن مغامرتي وزيارتي إلى أم فيصل، أُعجبا بما قُمتُ به. «لابد أن تكون قد تصرّفتَ بشكل لائق مع هكذا أناس مهمّين، أنا فخورة بك»، قالت خالتي.

وعندما أخبرت عمّي ماكس بالقصة، ابتسم قائلاً: «كنتُ واثقاً بأنك ستكون على ما يرام مع العائلة المالكة، فما هم إلا بشر».

كانت خالتي سعيدة جداً بعلاقتي الجديدة مع فيصل، وقرّرت أن تأخذني وأمي لزيارة الأميرات الثلاث. وهنّ أخوات الملكة والأمير الوصيّ؛ حيث يعيشون في قصر الرحاب. وجميعهن صديقات قديمات

إلى خالتي، وقد كانت لهم - على الدوام - مرشداً في الأساليب والتقاليد الغربية من المودّة في الملابس والإيتيكيت. وكانت - بشكل رسمي - وصيفة للأميرات، كما أخبرتني - عدة مرات - أنها سافرت معهم إلى القاهرة في الحفل الباهر لزواج شاه إيران على شقيقة الملك فاروق، ملك مصر.

وحين تسمع خالتي تروي تلك الرحلة، كأنها من قَصص ألف ليلة وليلة : فغُرف الحريم المعطّرة والقصور المترفة المملوءة بالعبيد والخصيان، التي خُصّصت للزوّار، والولائم الرائعة؛ حيث استُقدم أمهر الطبّاخين من باريس، والصحون المذهّبة والجواهر المعروضة. إضافة إلى قَصص الفضائح، مثل تلصلص الملك فاروق من ثقوب سرية في حيطان الغُرف المخصّصة لأميرات الأسر المالكة في الشرق الأوسط التي - بالطبع - تكون معزولة تماماً، ولا يدخلها الرجال. قالت خالتي إنه لم يكن رجلاً لطيفاً، والبلاط كله مليء بأناس فظيعين.

وحيث إن البلاط الملكي المصري يقلّد نهج ومراسيم التقاليد الأرستقراطية الفرنسية، فكان عليها اختيار ملابس السيدات حسب الإيتيكيت الخاص بالعشاء، أو في اللقاءات الاجتماعية، أو في المراسم. لكنْ؛ مع هذا، تمتّعت جداً بتلك الزيارة، وحصلت على الكثير من المنقوشات، وقوائم الطعام المذهّبة، والصور الفوتوغرافية، ومجموعة رائعة من الملابس والمجوهرات (هدايا من الأميرات كعربون شكر لتلك الخدمات) كذكريات عن تلك الرحلة.

في ذلك اليوم، اختارت كلّ من أمي وخالتي - وبعناية - أفضل ما عندهما من ملابس، وتأكّدتا من لياقتي ومنظري وتصفيف شعري. شرعنا في سيارة الكريسلر الخضراء اللامعة تحت قيادة سائقنا أحمد. عبرنا الجسر، وتبعنا الطريق الذي اعتدتُ فيه الذهاب إلى فيصل، لكنْ؛ في منتصف الطريق، استدار نحو طريق جانبي مزدان بالزهور، ها هنا قصر الرحاب لامعاً تحت أشعة شمس العصر، وفي وسط أشجار النخيل والأعشاب في جميع الأنحاء.

مدخل قصر الرحاب لا يختلف كثيراً عن قصر الزهور الذي يعيش فيه فيصل. استقبلنا بالتحية أحد العبيد طويل القامة بملابس بيضاء كاملة، وأرشدنا إلى صالون مُؤثّث ومُزيّن بالنقوش، ربما يضاهي بسعته حوض السباحة في النادي. في الطرف البعيد هناك مجموعة من الكراسي المذهّبة ذوات أرجل رفيعة وبعض الأرائك؛ حيث تجلس الأميرات الثلاث، بديعة وعابدية وجليلة، حسب تسلسل العمر والطول والجمال(*). ليس منهن بجمال أم فيصل، لكنهن لطيفات، قصيرات بعض الشيء، في ملابس عادية، مقارنة بالمحيط حولهن، شعرتُ بالخيبة بعد أن كنتُ متحمّساً لرؤية الأميرات.

وقفت الأميرات لتحيتنا، فعانقن خالتي بحرارة، وصافحن أمي، وتقدّمن نحوي، فتراجعتُ متسارعاً إلى الخلف، وقدّمتُ الانحناء من الوسط؛ لأتجنّب أياً من القرص أو التربيت المعتاد للأطفال.

---

* تسلسل الأميرات الصحيح حسب الأعمار هو عابدية، ثم بديعة، وبعدها جليلة.

كانت الأميرات رائعات في الحديث مع خالتي ووالدتي، جلستُ في الزاوية بهدوء، أراقبهن دون أن أثير الانتباه، كان الثلاثة - كما يبدو - يقمن بذات الأشياء، واحدة بعد الأخرى، حسب تسلسل العمر. إذا أومأت بديعة برأسها، وابتسمت، فهكذا تعمل عابدية وجليلة، واحدة بعد الأخرى. إذا قالت بديعة مثلاً: «شيء رائع..» وبعد توقّف قليل، رددت ذلك عابدية، وبعد ثوانٍ قليلة، قالت كذلك جليلة. وهكذا كل ما تقوله أو تفعله بديعة الكبرى تُعيده الأخريتان، لقد كنتُ على قناعة بأنهن مسحورات.

مباشرة بعد وصولنا، قُدّمت لنا المرطبات في صواني وأباريق من الفضة. لم يكن هناك الخبز والزبد والسندويشات، بل أطباق متللة من الحلويات، معجّنات مغرية بالعسل صعبة الآكل، إضافة إلى الحلقوم وأشياء أخرى من المكسّرات والفاكهة الجافة. للشراب كان هناك الخيار بين عصير الليمون الدبق، أو عصير الرمان الأرجواني. اخترتُ أنا العصير الأخير، وكان ممتعاً بطعمه الحاد واللاذع بعض الشيء. وكنتُ أود أن أستمرّ في التهام كل شيء، إلا أن نظرات خالتي وأمي الباردة نحوي جعلتني أتوقّف.

في تلك الأثناء، وصل رجل نحيل، في ملابس أنيقة، يرتدي بدلة جميلة ذات لون رمادي لؤلؤي؛ ذو شعر أسود لامع، له بريق كبريق حذائه الملمّع بعناية، فيجعله في إطار متناسق من فوق إلى تحت. عيناه كذلك لها سواد برّاق، وإن كانت صغيرة، له شوارب خفيفة متناسقة ومتوازنة ببراعة، فيبدو أن كل شعرة قد خضعت لتدقيق وتمحيص مُضن؛ لتستحقّ التربّع على شفته العليا.

قفزت خالتي، ثم أمي، بالوقوف، بينما كان الرجل يتقدّم مع ابتسامة تشبه ابتسامة الذئب، بأسنان كبيرة بيضاء. «مرحباً مدام آنا» مخاطباً خالتي، «تشرّفنا برؤيتكِ .. وهذه لابد أن تكون أختكِ الشجاعة والساحرة، التي سمعنا كثيراً عنها»، واستدار نحو أمي التي كانت مبهورة بهذا الشخص المتألّق.

قدّمت خالتي انحناءة الاحترام، ثم تبعتها والدتي، وكنتُ أنا مبهوراً، أحدّق في المنظر، فقهقهت الأميرات. قالت خالتي: «هذا لطف من سموك، أقدّم لك أختي إيزابيلا، التي هربت من بولندا، وفي طريقة ما، استطاعت الوصول إلى هنا. إيزا، أقدّم لك صاحب السمو الملكي الأمير عبد الإله، الوصيّ». قدّمت والدتي الانحناءة مرة أخرى، وصافحت يده.

تذكّرت خالتي فجأة، واستدارتْ نحوي، «آندرو، تعال هنا. سموّ الأمير، هذا هو ابن أختي آندرو، وقد جاء كذلك من بولندا.» قال الأمير: «نعم، لقد سمعتُ عنه من أختي، ومن فيصل»، ثم خاطبني، «فيصل أخبرني عن سعادته باللعب معك»، فتقدّم نحوي ماداً يده، فلم يكن أمامي سوى مدّ يدي الملطّخة بالعسل من الكيك للمصافحة، فعبس الأمير مخرجاً منديله؛ ليمسح يده، بينما كانت خالتي وأمي يخزراني بنظراتهما.

بعد أحاديث منوعة لبعض الوقت، استأذنّا للمغادرة، وكان علي الذهاب إلى الحمام لغسل وجهي ويدي قبل الصعود إلى السيارة. في الطريق، انهال عليّ التوبيخ من خالتي وأمي، عن تصرّفي السيئ، وكيف أخجلتُهم، وأحرجتُهم، وجلبتُ الخزيَ لهم. حاولتُ أن أقول لهم لم يكن أمامي من فرصة أو خيار، لكن اعتراضي ضاع في سيل الاتهامات المتلاحقة.



فيصل مع مايكل آرنولد في الرحلة الى راوندوز



فيصل في حدائق قصر الزهور

2

الرحلة إلى راوندوز

استمر ذهابي إلى النادي للسباحة والحديث مع العديد من الأصدقاء هناك، فتحسّنت لغتي الإنكليزية والعربية، وتحسّن أدائي في المدرسة. وبعد انقضاء الشتاء وعطلة الكرسمس ورأس السنة، أُخبرتُ أن فيصلاً يروم القيام في العطلة الربيعية بزيارة إلى مدينة راوندوز في شمال العراق، وأنه يرغب بمرافقتي له. وعلمتُ أن العريف عبد الله شجّعه على دعوتي، وحتى ناني كانت راغبة في ذلك، وهكذا حصلتُ على موافقة والدتي.

كان من الطبيعي - بعد بعض المناقشة في البيت - أن تبدأ سلسلة من المحاضرات والنصائح وإرشادات في التصرّف من قِبل خالتي ووالدتي. واستعداداً للرحلة، طُلب من خيّاطنا الهندي عمل بنطلونات قصيرة وقمصان من الخاكي، فالرحلة - كما أخبرني فيصل - مخصّصة للرجال، وليس هناك مجال للنمنمات والأشياء التافهة. استغربتُ -حقيقةً- كيف سمحتْ ناني لفيصل بالابتعاد عنها إلى تلك الأصقاع، وإن كنتُ على يقين أنها تستطيع أن ترى ماذا نعمل حتى من تلك المسافة.

في اليوم المقرر للرحلة، انطلقت القافلة نحو الشمال، عجلة مدرّعة في المقدمة، يتبعها عدد من الشاحنات مملوءة بالجنود، ثم تليها السيارة التي تقلّنا، فيصل وأنا والعريف عبد الله (الذي جلس في المقعد الأمامي). وخلفنا اثنان أو ثلاث من السيارات، الأولى تضمّ الجنديين حماد وحميد، وبعدها؛ شاحنة مُحمّلة بالجنود.

عندما استفسرتُ من فيصل أين سنأكل، أخبرني «أن الخدم والطبّاخين ومتعلّقات الطعام سبقتنا في الرحلة، إضافة إلى الخيم والحاجيات الأخرى.»

بالطبع، السفر مع ملك شيء مختلف، فعند الوصول إلى القرى الصغيرة والمدن على طول الطريق من بغداد إلى كركوك، ومن ثم؛ مدينة أربيل التاريخية القديمة، ومنها إلى راوندوز، كان جميع السكان يخرجون على طرفي الطريق مشدوهين بنظراتهم نحو القافلة والجنود المسلّحين والراية الملكية والعجلة المدرّعة. لم يكن هناك هتاف أو تلويح، بل - فقط - صمت، هل هو من الخوف، أو من الكراهية، لا أستطيع أن أقول.

توقّفنا للغداء في إحدى القرى، استقبلنا فيها زعيمهم بالترحاب، وقدّموا لنا أنواعاً من الأغذية، من لحوم باردة، أجبان، وفاكهة، وعصائر، منها عصير الرمان، إضافة إلى القهوة، وأظن أن جميعها كانت قد تُركت لنا من قِبل المطبخ الملكي الذي سبقنا، كما هو واضح من أنواع وجودة الطعام. بالطبع؛ كان هناك الاستقبال الرسمي بالخطابات المملّة والرتيبة التي لم نعرْ لها الاهتمام، ممّا دفع العريف عبد الله بالهمس لنا بالتأدّب

واللياقة، كما فعل المقدّم المسؤول عن الرحلة، رغم أن لا أحد من الجوق الملكي يبدي اهتماماً لطلباته. بعد الغداء والخطابات، تكلّم فيصل شاكراً الضيافة والاستقبال مع صيحات وهتافات رجال القرية ونحن نغادر المكان.

كانت المناطق الريفية التي نمرّ بها مناظر خضراء وأراض زراعية، ليس كما توقّعتها أن تكون أراض صحراوية ورمال جرداء، وهناك بعض التلول الصغيرة والوديان المليئة بالأعشاب، يتخلّلها بعض من ترع المياه. أخبرنا العريف عبد الله بأسماء هذه القرى والمدن، وهي خليط من الأسماء التركية والفارسية والعربية من التاريخ القديم والحضارات الزائلة، كما حدّثنا بشيء من تاريخ الاحتلال العثماني، وكيف أن بعضاً الأراضي القديمة التي مررنا بها، كانت مرتعاً للكثير من أشباح الموتى، على الأقل، لهؤلاء الذين ذُبحوا في المعارك العديدة عبر القرون.

«هناك العديد من الجنّ هنا»، قالها بصوته العميق، مقطباً جبينه، «إنهم في كل مكان، ويخرجون في الليل»، باسطاً ذراعيه، وهو يشير، فاعترضه السائق، فعاد، ليجلس باستقامة، ليُكمل حديثه: «هناك جنّ صالح وجنّ طالح، وعليك أن تكون حذراً بعدم إزعاجهم، وهم - في بعض الأحيان - يبدون عاديين كالبشر.»

«وكيف نُميّز بين الصالح والشرّير؟» كان سؤالي مباشرةً، وأضاف فيصل: «وكيف نعرف إذا كان جنياً؟ أم إنساناً عادياً؟»

مسّد عبد الله شاربه قائلاً : «يمكنك أن تعرف الجن من عينيه»، محدقاً وموسعاً عينيه، «نحن لنا قرنية مدوّرة، هذا السواد في وسط العين»، مشيراً إلى عينه اليسرى، «لكن عين الجن (الله يحفظنا منهم) فهي تشبه عين القط، طولانية من الأعلى إلى الأسفل، إضافة إلى أن وجههم طولي الشكل».

تبادلنا أنا وفيصل النظرات، أحدنا في عين الآخر، محاولَيْن هضم هذه المعلومات، «أما الجن الصالح من الطالح» استمر العريف؛ «لا يمكنك معرفة ذلك، بالضبط، مثل معرفة البشر، لا تعرفه إلا بعد فوات الأوان. فمن الأفضل أن تتصرّف بحذر، وكأنهم كلهم أشرار.»

هنا سأل فيصل : «هل سبق لك أن رأيتَ واحداً منهم؟»

«في الحقيقية ..» تراجع العريف بسرعة، «لم أر واحداً ، لكنْ؛ ربما، بل بالتأكيد، لابد أن يكون أحدهم هناك، عندما تحدث أشياء سيئة».

قضينا ليلتنا الأولى في بيت مدير إحدى المدن الصغيرة، فلقد منحنا سَكَنَه الخاص لراحة الملك. تشاركنا أنا وفيصل تلك الغرفة الطينية الصغيرة، ونام العريف عبد الله والآخران ملتحفَيْن بالبطانيات على الأرض خارج الغرفة. لم أستطع النوم لبعض الوقت، لعواء الكلاب وبنات آوى، وحين خلدتُ إلى النوم كانت أحلامي عن الجني الطويل الوجه، وعن عينيه وقرنيتيهما الصاعدتين والنازلتين.

استيقظنا مبكّراً، وبعد التغسيل، تناولنا فطوراً بسيطاً وسريعاً، بعضاً من الخبز واللبن، مع الشاي الحار، للانطلاق في الرحلة مرة أخرى. حاول المقدّم أن يحلّ محل العريف في المقعد الأمامي لسيارة المرسيدس

اللموزين السوداء التي تقلّنا، لكن فيصلاً لحق به، وأخبره بحزم بأنه لا يشعر بالأمان بدون حارسه الشخصي المعتاد، فنظر العريف عبد الله إلى المقدّم الذي غادر بغضب.

سألتُ العريف مرة أخرى عن الجن، «ماذا عليك أن تعمل لتحمي نفسك منهم؟ أَليسوا - هم - خالدين؟» «آه، أيها الصغير»، قال العريف، «بالله، إنك تقول الحقيقة، فلا يمكن قتلهم، أو تحطيمهم، لكنْ؛ هناك ثلاث طرق سرية لتجنّبهم»، فنظر بمكر نحونا، «لأنك حياتي - أيها الملك الصغير، وهذا الصغير صديقك - سأخبركما، لكنْ؛ لا تفشيا هذا السر». استدار نحونا وجهاً لوجه. «الأسرار الثلاث هي: أولاً أن الجن لا يطيق الحديد، فإذا كان معك قطعة من الحديد، سوف لن يقترب منك.» حشر يده في جيبه؛ ليخرج صامولة كبيرة من الحديد، «انظرا، سيبقون بعيدين عني».

حاولنا أنا وفيصل التفكير بأي شيء من الحديد في جعبتنا، فلم نجد. «أما السرّ الثاني» استمر عبد الله «أن تحمل شيئاً أزرق، مثل خرزة أو قطعة قماش». فجاء على بالي أن الحمير تحمل دوماً خرزاً زرقاء في لجامها، لكنْ؛ لا أنا ولا فيصل نحمل أي شيء أزرق.

«وأخيراً، شيء من الحنة على جلدك، أو على ملابسك، سيؤدي بالغرض، على أن تكون واضحة للعيان». الحمير كذلك - على الغالب - لها تلك البقعة من اللون البرتقالي على فروة رأسها. يبدو أن الحمير أكثر مني ومن فيصل مَحميّة من الجن. لم نشعر بالاطمئنان حتى التوقّف التالي

حين أعطى العريف إلى فيصل وإليّ مسماراً صغيراً، «هذا يؤدي الغرض في الوقت الحاضر حتى تحصلوا على شيء أفضل».

استمرتْ رحلتنا نحو الشمال، وكانت ليلتنا هذه المرة في مدينة كركوك الكبيرة، وهي مركز الصناعة النفطية، وفيها الكثير من العاملين الإنكليز في شركة النفط. فأُعطي لنا سكن في دار الضيافة للشركة مع عشاء جيد. وكان مزعجاً تجمّع الموظفون الكبار في الشركة مع زوجاتهم حول فيصل للتحدّث إليه، والتقاط الصور الفوتوغرافية، خصوصاً من قِبل السيدات اللاتي ارتدين أفضل الفساتين.

إحدى السيدات الفضوليات أرادت أن تعرف مَن أنا، فسألتْ: مَن أنت؟ فقلتُ لها بالعربية: أنا جني!! فابتسمتْ غير متأكدة، وسمعتُها تقول لصديقتها إنه ما زال صغيراً ليطلب شراب الجن!!

غادرنا في الصباح الباكر قبل أن يكون هناك أي جموع، وبدأنا نرى في الأفق الأزرق الضبابي بعض المرتفعات الشاهقة، وحين وقفنا في استراحة الصباح لبعض المرطبات، سمعنا فجأة ضوضاء وضجة، فالجنود في الشاحنات الأمامية كانوا يؤشّرون إلى الحقول على جهة اليمين، ويصرخون، نظر كلانا، ورأينا اثنين من الغزلان يرعيان في الحشائش بسلام، على بُعد حوالي ثلاثمئة ذراع.

انطلق وابل من الرصاص من حوالي عشرين بندقية ورشّاشة، فاختفت الغزلان في غيمة من التراب المتصاعد من آثار الرصاص، وحين انطلقت الغزلان بعيداً، شعرتُ بالسعادة بأن أياً منها لم يُصب بأذى.

وثب العريف عبد الله صارخاً على الرماة بسيل من الشتائم والإهانات: «أيها العميان والعرجان، الله يشفيكم من أمراضكم، كان أفضل لو أتينا بأخواتكم الصغيرات لحمايتنا، والله؛ لم أر في حياتي هكذا حمير بائسة في زيّ عسكري».

كان المقدّم المسؤول عن هذه القوات التي سخر منها العريف بعيداً مشغولاً في تفتيش المدرّعة، أما حماد وحميد؛ فقد انفجرا بالضحك على هؤلاء الجنود المرتبكين، كما شاركنا أنا وفيصل بالضحك.

اخترقنا مدينة أربيل المسوّرة، وبدأ الطريق بالارتفاع نحو الجبال، ومن تلك الجبال الشاهقة، كنا نرى قمم الجبال المغطّاة بالثلوج على الحدود الفارسية. كانت السماء صافية، والهواء نقياً، وحاداً، والأزهار البرية في كل مكان، أغصان الأشجار منحنية نحو ترع المياه المثلجة؛ حيث نقف - في بعض الأحيان - لنشرب من تلك المياه. وبدأنا نرى الناس يمشون على حافة الطريق بملابس غريبة، لم نألفها، وفي بعض الأحيان، حمير مُزيّنة بشكل جميل.

«هؤلاء هم الأكراد» قال العريف عبد الله بشيء من الاحترام، «وهم شعب خاص، ليس من العرب، مقاتلين أشداء، يطوفون الجبال لأيام دون كلل أو ملل، ولهم لغتهم الخاصة».

يلبس رجال الأكراد معاطف سمكية من الوبر، وسراويل نسيجية عريضة، تلتم عند الكاحل، لتسهيل ركوب الخيل، وفي الوسط حزام نسيجي عريض، وعلى الرأس يعتمرون عمائم سوداء كبيرة، كما يعلّقون

على صدورهم أحزمة الخراطيش، مع أنواع مختلفة من الأسلحة والبنادق. أما النساء؛ فهنّ غير محجّبات، يرتدين ثياباً متعددة الألوان، تتجمّع عند الخصر، وكذلك عند الكاحل، وعلى الرأس تكون العمامة مزيّنة بسلاسل من الليرات الذهبية والفضية، وفي بعض الأحيان، تُربط من أسفل الذقن. وتبدو نسائهم شديدات وقويات كالرجال.

توقّفنا في جايخانة في الطريق، فقدّموا لنا ماء الورد للتغسيل، ولأكل بعض من اللحم المشوي مع الخبز القاسي، لم يكن هناك أي تمييز خاص لفيصل، كان التعامل مع الجميع ببعض التحفّظ والاحترام، خصوصاً للعريف عبد الله لهيئته كمقاتل كبير، ولقامته الشاهقة. لم نكن نفهم لغتهم، لكن أحد الرجال الكبار تكلّم بالعربية مرحباً بنا في بلدهم، ومتمنّياً لنا الخير. وعندما انطلقنا في الرحلة، أطلق الأكراد بنادقهم كتحية للوداع مع هلاهل النساء.

وهكذا إلى راوندوز، وهي قرية ليست كبيرة، أو لها ما يميّزها، مجموعة من البيوت العادية والمحلات مع جامع وساحة واسعة للعب. كان هناك أعداد كبيرة من الأكراد الذين لم يهتمّوا كثيراً لقدوم القافلة. لم أفهم لماذا كان الجميع يحسدني في بغداد، عندما أخبرتهم برحلتي إلى راوندوز.

تحرّكت القافلة باتجاه بعض الجبال، وبعد وقت قصير، استدارت نحو طريق ترابي صغير حتى وصلنا إلى جانب من تل صخري، فتوقّفنا. نزلتُ من السيارة لمشاهدة المنطقة حولنا، فكانت على حافة سهل من

المرج، وقد نُصبت أعداد من الخيام مع بعض من السيارات والشاحنات التي اصطفّت على امتداد في نسق جميل. على جانب، كان هناك ترعة كبيرة، أو يمكن القول نهر صغير، يجري إلى جهة الخلف من سلسلة الخيام المنصوبة. وعلى قمم الجبال حولنا تجمّع شيء من الثلوج، وفي منحدرات تلك الجبال، نمت غابات من الأشجار، ومع تلك المروج والوديان يُشكّل منظر بانورامي، يمتدّ لعشرات الأميال.

أمام إحدى تلك الخيام كان هناك موقد من النار، تلفح النسمات نحونا منه رائحة اللحم المشوي والخبز الطازج. أخذنا العريف عبد الله نحو الخيمة المخصّصة لنا، وبعد أن تفحّصنا الخيمة وموجوداتها المتواضعة، خرجنا نحو شعلة النار، وكان الجنود قد سبقونا، وتجمّعوا حولها.

تقدّم المقدّم نحو فيصل قائلاً : «جلالة الملك، أرجو أن تذهب مع صديقك إلى خميتكَ، وسوف نأتي بالطعام لكما، لا يمكنك مشاركة الطعام مع هؤلاء العوام، وسآتي إليكما لاحقاً.»

نهض فيصل واقفاً ينظر إليه قائلاً : «بل سوف أشارك أصدقائي الطعام، وإذا ترغب يمكنك أن تذهب لأكل الطعام وحدك قرب خيمتي.»

ارتفعت أصوات القهقهة من حلقة الجنود حول النار، وابتسم العريف عبد الله، أما المقدّم المسكين؛ فانطلق بعيداً، وقد بان الاحمرار الشديد على ظهر رقبته، وهو يبتعد خجلاً.

«افسحوا المجال، أولاد البعير، افسحوا المجال لملكي الصغير.» زمجر العريف، «تعالا، واجلسا هنا» أشار إلينا بالجلوس على سجادة صغيرة وُضعت قرب النار. «سوف نأكل كما يأكل المقاتلون الشجعان، ليس كما يظهر الجنود في الصور».

هكذا كانت وجبات الطعام خلال أسبوعين مدة الرحلة، كعادة الولائم العربية أساساً من اللحم والسمك والخبز مع بعض الخضروات والفاكهة، وفي بعض الأحيان، قطع شهية من الشكولاته أو البسكويت كمعاملة خاصة.

كانت هذه الرحلة تجربتي الأولى بعيداً عن خالتي ووالدتي، بين مجموعة - فقط - من الرجال للقيام بأعمال خاصة بالرجال، الصعود والهبوط بين الجبال والوديان على ظهور البوني (الخيل الصغيرة)، على الغالب يقودها الجنود، وفي بعض الأحيان، تمرح مهرولة لحالها، بينما نعانقها حفظاً لحياتنا. بدت تلك المناطق الريفية رائعة، فالهواء نقي، والسماء صافية، الطقس ليس حاراً، ولا بارداً، الأشجار والأزهار في كل مكان، كان هناك - على الخصوص - بعض الحقول كلها مغطّاة بالورود باللون الأحمر والأرجواني والأبيض، والتي يسمّيها الجنود - أبو النوم -، أخبرنا العريف أن بعضاً من الأدوية تُصنع من هذه الزهور، والتي تُريح من الألم، وتجعل الشخص ينام، كنا حريصَيْن بأن لا نلمسها.

في المساء، وتحت السماء الصافية، كنا نلتفّ بالعباءات الكردية ذات الوبر، ونجلس حول موقد النار، نستمع إلى أحاديث الجنود

وقَصصهم بالتناوب عن الحيوانات والجن والأساطير عن الأبطال القدماء والسحرة وقَصص الحب المأساوية. أشعة الضوء المتلألئة من النار والرفقة كانت ممتعة ومريحة. في بعض الليالي؛ عملنا المسكوف، من أكلات السمك النهري الذي يُثبّت بالأعواد، ويُشوى حول النار؛ حيث يختلط الدخان المنعش بالبصل والثوم والزيت؛ لتعطي لحوم السمك البيضاء طعماً لا يُنسى.

في ثلاث أو أربع من العصريات خُصّصت للرماية، وهي - إلى حد ما - عملية استعراضية تقليدية، كل الجنود يجتمعون على جانب واحد من الحقل، وسلسلة من الأعواد تُثبت مواجهة لنا في الجهة الأخرى على بُعد حوالي خمسين ذراعاً، وتُثبت قناني زجاجية فارغة على هذه الأعواد. أعطى العريف لكل واحد منا مسدّساً كبيراً (أظن كان ويبلي 11 ملم)، وبعد ما أوضح لنا كيفية استخدامه، طلب أن نُصوّب، ونرمي. بالكاد؛ استطعنا حمل المسدس الثقيل، استطاع فيصل أن يصيب أحد القناني، فترافق ذلك مع صياح وهتاف مستمرّين من المجتمعين، لم أستطع أنا إصابة الهدف.

في إحدى عصريات الرماية تلك، توسلنا بالسماح لنا باستخدام بندقية تومبسون النصف آلية، كان ذلك ممتعاً حقاً، حين تطايرت قذائف الرصاص في كل مكان، فلم نستطع الحفاظ على البندقية في أيادينا، كان العريف والمرافقان يمسكان في أذرعنا للحماية، لكنْ؛ كان هناك بعض الخطورة. قرّرنا أنا وفيصل بعدها عدم التحدث بالأمر عند رجوعنا إلى

بغداد، فخالتي ووالدتي وناني، ناهيك عن العائلة المالكة - ربما - يصابون بالصرع، إذا علموا ذلك. في هذا اليوم المخصّص للرمي بالبنادق الآلية، وبعد أن فشلنا أنا وفيصل في إصابة القناني، قال العريف إنه سيعطي ديناراً إلى أيّ جندي، يستطيع تحطيم القناني، باستخدام مخزن كامل للبندقية.

«أنا، عبد الله، مع هذين الجنديين، سنمنح هذا المبلغ لكل مَن يستطيع ذلك باستخدام مخزن كامل من بندقية تومبسون، وأنتم تتعهّدون بدفع المبلغ نفسه لنا، للقيام بذلك».

هتف الجنود، واصطفوا للقيام بالمهمة. نُصبت ثمانية عصي مع قناني على خطّ مستقيم، وبعدما انتهوا من الرمي، كان هناك اثنان - فقط - من القناني المهشّمة. ابتسم العريف، وقال: الآن، جاء دوري مع جنودي للرمي الواحد بعد الآخر. استُبدلت القناني، وتقدّم العريف إلى الأمام، وبدأ يرمي بشكل عفوي، وحتى بدون أن ينظر، ومع حركة لسبطانة بندقيته بشكل نصف دائري، وحين توقّف، كانت جميع القناني الثمانية قد تهشّمت. بعدها؛ قام كلّ من حماد وحميد بالعمل نفسه، وبالنتيجة نفسها. كنا أنا وفيصل نهتف لهم وبعد شيء من الممانعة، دفع الجنود الرهان، ولم يكن المقدّم على مرأى من كلّ ما حدث.

حاولنا أن نصطاد بعض الدراج باستخدام مسدسات صغيرة، لكنْ؛ دون نجاح، ولم نُفلح كذلك في صيد السمك، كما فعل الطبّاخون.

قضينا وقتاً ممتعاً في الرحلة، وانقضى الأسبوعان بسرعة، كما عدنا بسرعة، كنتُ سأكون سعيداً، لو بقينا هناك إلى الأبد.

3
زيارة الأمير عبد الإله

بعد يومين من عودتنا إلى بغداد، جاء الوصيّ الأمير عبد الإله للعشاء في بيت خالتي، علمتُ أول الأمر من خادمنا، أخبرني أن الصحون ستصل من القصر صباح هذا اليوم، مع مجموعة الطبّاخين والخدم. «أية صحون»؟ سألتُ، «ولماذا؟ خالتي لديها تلك الصحون الفضية الرائعة». نظر الخادم إلى السماء، «الأمير سوف يأتي للعشاء، وبالعادة؛ يرسلون الصحون المذهّبة والطبّاخين والخدم، يظنون أن طبّاخينا علي وحسين وأنا، لسنا بالمستوى المطلوب.»

ذهبتُ إلى خالتي مستفسراً: «ما هذه الصحون والخدم القادمون؟» فردّت بهياج: «اذهب من هنا، لا تزعجني الآن».

«صاحب السمو الأمير عبد الإله، الأمير الوصيّ، تكرّم مسروراً بتشريفنا للحضور للعشاء» قالت أمي بصوت لاهث. «إنه من العائلة المالكة». أنا وفيصل - في الحقيقة - لا نحبّه، وقد تفاجأتُ بأن أمي - وبالخصوص خالتي - في كل هذا الهرج والمرج من أجل أطعامه. قالت خالتي إنني غير مدعو، لكنني إذا

كنت هادئاً بشكل تام، يمكنني المراقبة من السطح، فالعشاء سوف يُقدَّم في حديقة المنزل.

في وقت الضحى، وصلت الصناديق الثقيلة المحمّلة بالصحون والأطباق الكبيرة مع ثلاث من الطبّاخين وعشرة من الخدم من القصر الملكي. جلستُ القرفصاء في إحدى زوايا المطبخ، أراقب ما يحدث، عندما بدأ تحضير الطعام من قِبل طبّاخي القصر، يشاركهم طبّاخنا علي الذي يعرفونه جيداً، كما بدا من مزاحهم معه، كان هناك أسماك مع طيور ودراج وغزال، إضافة إلى لحوم الماعز والغنم، وعدة أنواع من الخضروات والفاكهة، صناديق من النبيذ مبرّدة في قوالب من الثلج، وُضعت في صناديق معدنية كبيرة، وعدة مكائن لصنع الآيس كريم (سُمح لي بملء صحن من آيس كريم المنغو الذي أحبّ، على وعد بأني أغسل الصحن بعد ذلك). وأيضاً كان هناك حوالي خمسة عشر رطلاً من كافيار البيلوجا مع الخبز الخاص المحمّص. كل ذلك لحوالي خمسين مَدعوّاً للعشاء.

في الحديقة، كان الخدم منشغلين بنصب موائد الطعام على شكل قوس، يشبه حذاء الفرس، ثم تمّ تغطيتها بفرش المائدة البيضاء الطويلة. بعدها؛ وُضعت أدوات المائدة (وكلّها - بالطبع - من القصر)، مع العديد من الأقداح والصحون وهزازات الملح والفلفل الفضية ومناديل المائدة الدمشقية والأباريق المزخرفة وتنظيم مبهر من الفاكهة والزهور. أما الكهربائيون؛ فكانوا منشغلين في نصب سلسلة من المصابيح الملوّنة على علو، من شجرة إلى أخرى، وفي إحدى الزوايا، يهيئون منصة لفرقة

موسيقية ثلاثية قادمة من فندق سميراميس. وأخيراً، الصحون المذهّبة المنقّشة واللامعة، والتي وُضعت حسب المراسم أمام كل مقعد من الكراسي الحمر المخملية الأنيقة التي جاءت من الفندق.

استطعتُ المكوث هنا وهناك متحاشياً عرقلة أو إعاقة التحضيرات حتى بدأ الزوار بالوصول، جميعهم كان في أناقة تامة، الرجال في البدلات الرسمية الخطافية(*)، وقد عُلّقت الميداليات على الصدر، والسيدات في الفساتين الطويلة، مكشوفة العُنق، والأذرع المحفوفة بالمجوهرات. حضرت شخصيات مهمّة من المجتمع البغدادي في تلك الأمسية، وكنتُ أعرف العديد منهم، على الأقل، نوري باشا السعيد (رئيس الوزراء وصديق عمّي ماكس)، إضافة إلى الكابينة الوزارية، وبعض من السفراء والضباط الكبار، والعديد من الأجانب. كنتُ أراقب وصولهم من شبّاك المطبخ؛ حيث كان الطبّاخون يُحضّرون طبق الحلويات الرائعة بحجم ثلاثة أقدام، تضم أنواع الحلويات على شكل حيوانات وطيور، في غابة ملوّنة من الجاتو والجيلي والمعجنات، وُضعت على منضدة كبيرة.

على حين غرة، دخلت خالتي إلى المطبخ للتأكّد والتحقّق من سير الأمور، طلبتْ مني بالذهاب على الفور إلى الطابق العلوي. في هذه الأثناء، دخل خادمنا حسين مضطرباً قائلاً وبعجل: «سيدتي، سيدتي، وصل سموّ الأمير»، لحقتُ بخالتي إلى الطارمة الأمامية، فكان هناك الأمير بملابسه الرسمية الرائعة الموشّحة بالأوسمة والميداليات والضفائر المذهّبة، تقدّم

* هي السترة الرسمية للحفلات، تكون طويلة من الخلف، ومشقوقة الذيل، كذيل الخطاف، أو السنونو.

نحو خالتي مادّاً يده، فقدّمت خالتي يدها، فقبّلها بكياسة، وكنتُ واقفاً إلى جانبها، فاستدار إليّ مادّاً كفّه للمصافحة، وحين رفعتُ يدي، سحب هو يده بسرعة إلى خلفه قائلاً: «آه .. أنت»، واستدار إلى خالتي، التي انتفخ وجهها بالغضب، بسبب وجودي، قائلاً لها : «شكراً لدعوتك الكريمة»، واتجها إلى الحديقة؛ حيث كان رئيس الوزراء مع عمّي ماكس في الانتظار.

أسرعتُ نحو الطابق العلوي، وإلى السطح، وقضيتُ ثلاث ساعات بالجلوس على السياج بخطورة بالغة، أراقب ما يحدث تحت. كان منظر دخول الحلويات في محمل يرفعه أربعة من الخدم عرضاً رائعاً، استُقبل بالتصفيق من قِبل الحاضرين، استطاع خادمنا تهريب صينية كبيرة لي، تحوي على كل ما أشتهي منه.

كانت الأمسية ناجحة بشكل كبير، ونُشرت مقالة طويلة عنها في الصحفية الإنكليزية في بغداد، وعندما أخبرت عمّي ماكس بأني راقبتُ كل شيء من سطح المنزل، قال: «كلّ هذا هراء، ربما هذا يسعد خالتك، والناس الذين يحبون الشرب والأكل في تلك الصحون الذهبية والأشياء الأخرى، لكنْ؛ هناك الكثير من الفقراء في هذا البلد».

كنتُ أتساءل فعلاً إذا كان هناك ضرورة لمثل هذه الحفلات على الإطلاق؟

كانت الحياة في بغداد بسيطة ومريحة، استمتعتُ فيها بأيامي، ومضت الأيام دون أن أشعر بها، وبالطبع؛ تلك الأيام الجميلة لا تدوم. فجاءت الطامة الكبرى حين كنتُ عائداً بعد الظهر من النادي في أحد أيام صيف 1943، أخبرتني والدتي بأنها قرّرت مع زوجها الجديد السيد

آرنولد، من شركة النفط في العراق، إرسالي للدراسة في كلية فكتوريا الإنكليزية في مصر، وهكذا انتقلتُ إلى القاهرة، ثم الإسكندرية للدراسة.

عدتُ إلى بغداد في عطلتي الصيفية في العام التالي، لكني لم أزر فيصلاً خلالها سوى مرّتين، استقبلني العريف عبد الله والجنود بحرارة، وكان هناك بعض التغيّرات، فكانت هناك مُربّية إنكليزية جديدة لفيصل، وأصبحت ناني في الخلف بعض الشيء، أم فيصل كانت مريضة. أخبرني فيصل بأنه يشعر بالمزيد والمزيد من الذين حوله أصبحوا في الجانب الآخر، لقد حزنتُ عليه.

رأيتُ - بعدها - فيصلاً في إنكلترا، بعدما انتقلتُ أنا إلى كمبيردج للدراسة، وجاء فيصل ليلتحق بكلية هارو، وُجّهت لي دعوة للقائه في فندق كلاريدج في وسط لندن، كان اللقاء قصيراً، فهناك العديد من الزوّار في الانتظار، وبعد التحية والسؤال، أخبرني بأنه مشغول الآن، وربما سنتحدث في وقت آخر. وكان اللقاء الأخير معه عند زيارتي لبغداد بعد عدة سنوات قبل فترة ليست طويلة من مصرعه، ولم يكن هناك شيء يجمعنا بعد هذه السنين سوى ذكريات وحنين الطفولة، فأصبح له أصدقاء في هارو، وأيام الطفولة أصبحت من الماضي البعيد.

في زواجي، بعثتُ له بطاقة دعوة لحفلة العرس، لم يحضر، لكنه بعث لي بهدية عرس جميلة، وهي مزهريّتان من الفضة، وقد نُقش عليها التاج الملكي، واسمه باللغة العربية، وهي على الرف بجانبي - الآن - وأنا أكتب هذه السطور.

القسم الثالث

الملاحق

ملك العراق الصغير يواجه مهمة صعبة(*)

في قصر أصفر كبير على ضفاف دجلة يعيش صبي صغير، هو ملك، لكنه لا يعرف بذلك. إنه جلالة الملك الهاشمي، فيصل الثاني، سليل النبي وملك العراق. في السادسة من عمره، وهو أصغر ملك في العالم.

أحد الضيوف سأل مؤخّراً الملكةَ الأمَّ، فيما إذا كان ولدها على دراية بأنه ملك. فكان جوابها : «عليك أن تسأله».

سأل الضيفُ الولدَ الصغير : «كم هو عدد الملوك الذين تعرف أسماءهم؟» أجاب فيصل بأسماء نصف دزّينة من الملوك الأحياء، لكنه لم يذكر اسمه.

أحد الأصدقاء المقرّبين للعائلة المالكة، والذي يقضي كثيراً من الوقت في القصر، قال : «فيصل الصغير يرى صورته على الطوابع، وعلى النقود، وتقريباً في كل مكان، وحين يتجوّل في حديقة القصر يأخذ له الحرس التحية، وإذا يتنقل بالسيارة في شوارع المدينة، يهتف له الناس.

* مقالة نُشرت في جريدة «بالم بيتش بوست» «Palm Peach Post» الأمريكية في 16 تشرين الثاني 1941.

وهو ينظر إلى كل هذه الأشياء بأنها أمور طبيعية، اعتاد عليها، ولا يبدو أنه على دراية بأنه ملك.»

الملك الصغير ذكي ولطيف، وله مزاج جميل، يتعلّم بسرعة، ولا ينسى ما يتعلّمه، قد لا يبدو قوي البنية، لكن صحته جيدة، هذا ما يقوله الذي يرافقه يومياً.

يُحاط بالبريطانيين

لفيصل جناح كامل خاص له في القصر، مُجهّز بالتبريد المركزي، ومُؤثّث له من أحد محلات لندن الراقية. وهناك كمية كبيرة من ألعاب الأطفال التي تصل لفيصل من المهنّئين والمحبّين، اعتاد أن يمنح بعضها إلى الأطفال الآخرين. وفيصل مغرم بالحيوانات، فهو يملك كلباً، واثنين من البوني، أُهديت إليه من الأمير هورثي الوصيّ على العرش الهنغاري.

يحيط بفيصل مُمرّضة إنكليزية تُدعى الآنسة دورا بورلاند، ومُربّية إنكليزية اسمها الآنسة بَتي سولمان. ينهض فيصل في الصباح الباكر ليأخذ جولة للمشي في حديقة القصر قبل الإفطار، ويمضي ثلاث ساعات صباح كل يوم في دروس تعليم الأطفال مع الآنسة سولمان، بعدها؛ يذهب للغطس في حوض السباحة الخاص في القصر، فقد تعلّم السباحة هذا العام.

في الغداء، يكون فيصل مع والدته وبقية أفراد العائلة المالكة، وبعد غفوة الظهيرة، يخرج مرة ثانية في أواخر العصر، وبعد العشاء، يذهب مبكّراً للنوم.

يتكلّم اللغتين العربية والإنكليزية بشكل جيد، ولا يخلط بين الاثنتين، وتساهم الملكة مع الآنسة سولمان في تعليمه بعض الدروس الخاصة، وأهمها الدين والقرآن.

ليس لفيصل أصدقاء مقرّبون من عمره، لكنْ؛ في بعض الأحيان، تُقام حفلات خاصة للأطفال في القصر، يحضرها ما يقارب 25 طفلاً، وفي هذه الحفلات، يقوم فيصل بالتبرّع ببعض ألعابه إلى الأطفال.

يحبّ فيصل خاله الأمير عبد الإله الوصيّ على عرش العراق، وهو في الثامنة والعشرين من عمره.

الأب قُتل في سيارة

أصبح فيصل ملكاً قبل حوالي ثلاث سنوات بعد ما قُتل والده، الملك غازي، في حادث سيارة حين اصطدمت سيارته في عمود الكهرباء، بينما كان يسوق في ساعات الصباح الأولى في أحد الأيام. وكان غازي قد خلف والده الملك فيصل الأول سليل العائلة الهاشمية المعروفة في الجزيرة العربية، والتي لعبت دوراً رائداً في الثورة العربية ضد الأتراك في الحرب العظمى.

هذه البلاد التي سيقوم فيصل بقيادتها في قادم الأيام، إذا لم يحدث ما يُعكّر ذلك، معروفة بكثرة الاضطرابات فيها، والمهمّة التي سيواجهها سوف لن تكون سهلة. فبعد بضع ساعات من مقتل والده، كمثال، قام الرعاع في مدينة الموصل - تأثّراً بالشائعات عن قيام البريطانيين بذبح الملك - بقتل القنصل البريطاني جورج مونك ميسون.

بقي الصبي في بغداد لمعظم الوقت خلال فتنة الربيع الأخيرة، وفي اليوم الذي عاد به إلى العاصمة، كان الشغب، وذُبح اليهود على قَدَم وساق.

من بين رعاياه هناك القبائل البدوية الشرسة، واثنان من الأقليات التي تثيران المشاكل في العراق، وهما الآثوريون والأكراد. كما هناك العديد من الصراعات الدينية، وفي بغداد، بعض عناصر العصابات الكبيرة. وبسبب ثروة النفط والموارد الطبيعية هناك - أيضاً - المطامع الأجنبية.

لهذا؛ ربما من الأفضل أن لا يعرف الصبي ما هي المهمّة التي تنتظره.

العيد السابع لمليك العراق(*)

في اليوم الثاني من شهر أيار (مايو) الماضي احتفلت الأمة العراقية الكريمة بعيد مليكها الصغير، صاحب الجلالة الملك فيصل الثاني. فاستقبلت البلاد من أدناها إلى أقصاها هذا اليوم السعيد بكل مظاهر البشر والحبور، وتوجّهت بالضراعة إلى المولى - سبحانه وتعالى - أن يعيد مثل هذا اليوم على جلالته وعلى العالم أجمع باليُمن والرخاء. وكان طبيعياً أن تغتنم هيئة الإذاعة البريطانية هذه الفرصة -كدأبها في مثل هذه المناسبات- لتتقدّم إلى جلالته بخالص تمنّياتها، وتفرد برنامجاً خاصاً في إذاعتها، يتفق مع رغبات الملك الصغير. وقد تفضّل جلالته، فاختار مقتطفات من قصة (أليس في أرض العجائب)، وهي من أروع قَصص الأطفال الإنكليزية. كما أعرب عن رغبته في الاستماع لبعض الأحاجي والألغاز والمقطوعات الموسيقية الحماسية.

وقد سرّ جلالته جدّ السرور بهذا البرنامج، وخاصة بالأحاجي التي تخلّلته. لذلك رأينا إيراد بعضها على سبيل التفكّه لمن لم يُسعده حظّ سماعها من صغار قرّائنا.

---

* مقالة في مجلة المستمع العربي، العدد 9، السنة 3 في 7 آب (أغسطس) 1942.

(1) ما هو الشيء الذي حجمه حجم الفيل، ويُحمل في منديل؟

(2) قال حارس الليل لسيده: «سيدي، لا تسافر بالقطار غداً، فقد رأيتُ في منامي أن القطار خرج عن الخط، وانقلب، ومات مَن فيه». فطرده سيده حالاً، بدلاً من أن يعطيه جائزة على تحذيره إياه. فلماذا طرد حارس الليل؟

(3) كلمة عربية ذات أربعة حروف. الحرف الأول والثاني يؤلفان أحد حروف الجر. والحرف الثالث فالثاني فالأول تؤلف كلمة هي اسم أحد فصول السنة. والأول والثاني والرابع حيوان ضخم، له خرطوم. ومعنى الكلمة يدل أولاً على سلاح حاد قاطع، كان يُستعمل في القتال. ويدل ثانياً على اسم ملك عظيم من ملوك العرب؟

وقد نالت هذه الأحجية الأخيرة أشد استحسان جلالته، فلماذا؟ هذا ما نتركه لثاقب ذكاء القارئ.

وممّا هو جدير بالذكر هنا أن هيئة الإذاعة البريطانية كانت قد أعدّت لجلالته مفاجأة طريفة، هي نموذج صغير لطائرة من طراز (هاريكان)، خُبّئ في مكان خفي بقصر الزهور. وتركت له الاهتداء إليه عن طريق الأبيات التالية، وهي :

يرحل اللقلق في كل سنة جعل
التطوف دوماً ديدنه

راعه قصركم في حُسنه فبنى
عشه تحت المدخنه

اتخذ اللقلق حصناً عشه في
حمى الفيصل أمن حصنه

وغدا يحرس ما أهديتم
هو في العش اسمكم قد زيّنه

ولقد أهداكم من ولده
آية الشكر الجميل ضمنه

راجياً عمراً طويلاً للملك
بالرخا والعزّ يعلى وطنه

فلمّا تنفّس الصبح، ونهض جلالته من فراشه، ليستقبل عيد ميلاده السابع، قرأ هذه الأبيات، ثم صعد على سلم إلى عش اللقلق في أحد مداخن قصر الزهور؛ حيث عثر على نموذج الطائرة.

وكانت محطة لندن العربية قد رجت جلالته أن يتكرّم بالإدلاء - في هذه المناسبة - بكلمة، يحملها الأثير إلى ملايين العرب الذين يرون فيه مستقبلاً زاهراً، فتفضّل بإلقاء كلمة وجيزة، أعرب فيها عن شدة سروره لهذه الفرصة، التي أتاحت له التحدث في الراديو لأول مرة من قصر الزهور ببغداد. ودعا المستمعين في الخارج إلى زيارة العراق. وختمها بالإفصاح عن خالص تمنياته، لأبناء وطنه، ولجميع سكان المعمورة. وقد كان لهذه

الكلمة أبلغ وقع في نفوس مستمعيه. وكان صوته عذباً واضحاً، تنمّ نبراته عن الرجولة، كما كان إلقاؤه بديعاً. فنفذت كلماته إلى سويداء القلوب، وخاصة حينما قال: «وأرجو الله أن يكلأ كافة البلدان العربية بعنايته». كلأه الله بعنايته، وجعله زخراً لأمته وللأمم العربية جمعاء.

المصوّر في زيارة
جلالة ملك العراق(*)

أُتيح لكاتب هذه السطور أن يقابل جلالة الملك فيصل الثاني - ضيف مصر الآن - في المفوّضية العراقية، وكانت الساعة العاشرة صباحاً، وكان جلالته - وقتئذ - جالساً في الحديقة مع مربّيته ومعالي تحسين بك العسكري، وزير الداخلية العراقية، وسعادة العقيد عبد الوهاب بك كبير الياوران، وخالد بك الشوربجي القائم بأعمال المفوّضية.

أحبّ مصر، كما أحبّ العراق

قدّمني إليه خالد بك الشوربجي، فسألني جلالته : «هل أنت مصري»؟.

فقلتُ : «نعم».

فقال جلالته : «إنني أحبّ مصر، كما أحبّ العراق».

فقلتُ لجلالته: «لا عجب، يا مولاي، فمصر شقيقة العراق. وهل سررتُم جلالتكم برؤيتها»؟.

* مقالة في مجلة «المصوّر» المصرية، العدد 964، الجمعة 2 أبريل 1943.

فقال : « نعم. سُررتُ برؤيتها كثيراً، وكنتُ أود من زمان أن أراها، فرأيتها حلوة وزينة».

الملك فاروق

فقلتُ لجلالته : «إن المصريين يحبّون جلالتكم، ويحبّون بلادكم».

فتفضّل حفظه الله، وأجاب بقوله : « إن كلّ مَن في بلادي يحبّ مصر، ويحبّ الملك فاروق».

وقد نشأ جلالة الملك فيصل الثاني نشأة رياضية عسكرية، وأحبّ الأشياء إلى جلالته وأكثرها هواية عنده النماذج الخاصة بالطيارات والسيارات والمدافع والبنادق، ويقضي في مشاهدتها، وفكّ بعضها، وتركيب أجزائها بعض أوقات فراغه.

مجلة المصور أحب الصحف إليه

ويهوى جلالته قراءة الصحف العربية والإنجليزية. ويقوم بتعليمه اللغة العربية الدكتور مصطفى جواد، والإنجيلزية البرفسور هملي وعقيلته؛ حيث أُعدّ لجلالته جناح خاص في البلاط الملكي ببغداد، يُشرّفه صباح كل يوم في الساعة التاسعة؛ لتلقّي دروسه.

وقد سأله خالد بك الشوربجي - وهو في طريقه من الإسماعيلية إلى القاهرة - عن أحبّ الصحف المصرية لجلالته، قصد إعدادها عند تشريف جلالته دار المفوّضية، فقال : كل الصحف المصرية حلوة، ولكن أحلاها عندي «مجلة المصوّر».

وقد تفضّل جلالته، فسمح بتصويره، وهو يقرأ عدداً من هذه المجلة.

حبه للتصوير

وجلالته مولع بالتصوير، يقوم به بنفسه، وترى على هذه الصفحة صورة جَدّه الأمير عبد الله مع فخامة جميل بك المدفعي، التقطها جلالته لهما بدار القنصلية العراقية العامة بالقدس قبيل تشريفه مصر. ويقتني جلالته عدداً من آلات التصوير القيّمة. ولما أراد مصوّر مجلة المصوّر أن يصوّر جلالته، طلب منه أن يرى «الكمرة»، فقدّمها لجلالته، فأخذ يفحصها فحصاً دقيقاً، ثم حملها، وصوّر بها شاطئ النيل المقابل لحديقة المفوّضية بالزمالك.

الروح العسكرية

ويستيقظ جلالة الملك فيصل في منتصف الساعة السابعة صباحاً، فيجد إلى جواره مُربّيته الإنجليزية، ويبدأ يومه بأداء بعض التمرينات الرياضية «الألعاب السويدية»، ثم يستحمّ، حتى إذا كانت الساعة الثامنة، تناول طعام الإفطار الذي يُهيّأ بإرشاد طبيبه الخاص. وفي الساعة الثامنة والنصف، يغادر جلالته قصر الزهور، برفقة كبير مرافقيه سعادة العقيد عبد الوهاب بك إلى البلاط الملكي؛ حيث أُعدّ له جناح خاص لجلالته، بجوار مكتب خاله صاحب السموّ الملكي الأمير عبد الإله الوصيّ على العرش. ثم يبدأ بتلقّي دروسه في الساعة التاسعة تماماً إلى الثانية عشرة والنصف، والعلوم التي يدرسها جلالته اللغة العربية، والتاريخ، والجَغرافيا، واللغة

الإنجليزية، والرياضة البدنية، والرسم. وقد عُرف جلالته بحدّة الذهن، وصفاء القريحة، وقوة الملاحظة، والميل لطلب العلم.

ويقوم بتدريب جلالته على الألعاب العسكرية العقيد عبد الوهاب بك عبد اللطيف وبعض مساعديه.

وبعد تناول الغداء والاستجمام بعض الوقت، يتناول جلالته الشاي في الساعة الرابعة، ثم يخرج إلى التنزّه في ضواحي العاصمة إمّا في سيارته الخاصة، أو على دراجته داخل حديقة القصر. وفي بعض أيام الأسبوع، يجيؤه أحد الضباط العراقيين، فيدرّب جلالته على ركوب الخيل، وقد أهدى إليه الوصيّ على عرش هنغاريا في أواخر سنة 1938 عربة صغيرة، يجرّها «سسيسيان» يلذّ لجلالته ركوبها، في كثير من الأوقات.

الملك والوصيّ

وقد يجتمع في خلال هذه النزهة ببعض شيوخ العرب والشخصيات العراقية الكبيرة. وجلالته يحبّ سموّ خاله الوصيّ على العرش حبّاً جمّاً، ويلازمه كثيراً في رياضته ورحلاته، إلى حدّ أنه لا يطيق أحدهما مفارقة الآخر.

عطف المليك وحنانه

وجلالته كثير العطف على مَن حوله، ونذكر أنه، وهو قادم من الإسماعيلية إلى القاهرة، سار حول سيارته بعض رجال الموتوسيكل لحراستها، فكان جلالته يوصي سائق السيارة ألا يُسرع كثيراً حتى لا يُجهد راكبي الموتوسيكلات.

وكان بين حين وآخر يسأل مرافقه عبد الوهاب بك بتلفون السيارة وهو جالس بجوار السائق: هل نفدت الحلوى من عنده؟ ويقول له: إن عند جلالته حلوى كثيرة، فإذا شاء أخذ منها.

وهو مضرب المثل في العراق في عطف جلالته الكبير على الفقراء. ونذكر أنه شاهد يوماً أحد الفلاحين يسير حافياً، وهو يرتجف من البرد، فسأله: «لماذا ترتجف؟» فقال الرجل: «لأنني لا ألبس حذاء». فأسرع إلى القصر، وأمر بشراء حذاء وكساء لهذا الرجل.

كلكم راع، وكل مسئول عن رعيته

وكثيراً ما يحدث في أثناء انتقال جلالته بالسيارة الملكية من قصره العامر إلى البلاط الملكي أن يُلوّح بعض الرعية لجلالته، بما يفهم منه أن لديهم مظلمة أو شكاية، يريدون رفعها إلى مقام جلالته، فيأمر - حفظه الله - بوقف السيارة، وتسلّم المظلمة، وعندما يصل إلى البلاط الملكي، يُسلّمها بنفسه إلى حضرة صاحب السمو الوصيّ على العرش للنظر فيها، وإذا كان في المظلمة ما يشعر بأن صاحبها في ضنك، يأمر جلالته بالترفيه عنه.

وقد اشتُهر عنه كثير من الحوادث التي من هذا القبيل، فأحبّه شعبه حبّاً جمّاً، وتعلّق بذاته الكريمة تعلّقاً شديداً، وما زال يزداد حبّاً له، وإعجاباً به وبسموّ خاله الوصيّ على العرش وبيته الهاشمي الكريم.

(ط . أ)

عندما كان ملك العراق في مصر(*)

احتفت مصر بزيارة الملك فيصل الثاني ملك العراق، وإن لم تكن هذه الزيارة رسمية. وقد أُقيمت لجلالته وصاحبتي الجلالة الملكة الوالدة ملكة العراق، والملكة الجَدّة مأدبة غداء فاخرة، بقصر عابدين العامر، وزار جلالته بعض المتاحف والمشاهد الأثرية، وطاف بعض الأماكن الشهيرة بالقاهرة، كما زارت جلالة ملكة العراق وجلالة الملكة والدتها الاتحاد النسائي العربي، فكانوا -في كل مكان يزورونه- يُقابَلون بعظيم الإجلال والتبجيل، وفائق الهتاف، بحياة ملكي العراق ومصر، وبحياة القطرين الشقيقين، وحياة الوحدة العربية. وهنا نُسجّل بعض الملاحظات عن هذه الزيارة.

في حديقة الحيوانات

بدأ الملك فيصل الثاني زيارته بحديقة الحيوانات شأن كل قادم إلى مصر، فطاف بأنحائها، وتفرّج على ما تحويه من أنواع الحيوانات الوحشية، والطيور الغريبة. وقد كان أهم ما استهوى جلالته رؤية الأُسُود، فوقف عندها كثيراً، وأُعجب بهذا الحيوان العظيم الذي يُعدّ ملك الحيوانات،

* مقالة في مجلة «المصوّر» المصرية، العدد 967، الجمعة 23 أبريل 1943.

وتمنّى لو رآه في الصحراء طليقاً؛ لأنه - كما قال جلالته - «زعلان من الحبس» !!

وقد استهوت جلالته كذلك الزرافة، فأُعجب بجمال جسمها، ورشاقة حركتها، وكان من أَحَبّ الحيوانات التي شاهدها جلالته في هذه الحديقة أنواع الطيور المختلفة، فوقف عندها كثيراً، وأخذ يسأل عن وطن كلّ نوع منها.

في المتحف الحربي

وزار جلالته المتحفَ الحربي، ومكث فيه طويلاً، وكان من أهم ما استلفت أنظار جلالته في محتوياته نماذج الطيارات، فأخذ يسأل عن كلّ منها واحدة واحدة، وعن أنواعها؛ إذ إن جلالته خبير بأسماء هذه الأنواع كلها، وعنده في قصره ببغداد نماذج عديدة منها. وكان يقوم بالشرح لجلالته مدير المتحف، البكباشي عبد الرحمن زكي، ولما جاء لنماذج الأزياء العسكرية وتطوّرها في مصر منذ عهد الفراعنة إلى الآن أخذ يقارن بين الجندي القديم والجندي الحديث، كما يقارن بين الآلات الحربية القديمة والحديثة.

بين الأهرام وأبي الهول

وقصد جلالته مع حاشيته إلى أهرام الجيزة، وأبي الهول، فطاف حولها، وقد لفت نظره ضخامة الهرم الأكبر، فسأل عن ارتفاعه، وعن عمره، ولما أُجيب إلى أن ارتفاعه نحو أربعمائة قَدَم، سأل جلالته : «وكم قَدَمَاً تحت الأرض» ؟

وأحبّ جلالته أن يتسلّق الهرم، ولكنه أجّل ذلك لفرصة أخرى. ولما ذهب إلى أبي الهول، ورأى وجهه، قال جلالته : - أنا كنت أشوف أبو الهول في الكتب وجهه بشع، ولكنْ؛ أراه - الآن - ليس أبشع ممّا كنتُ أتصوّر.

ولاحظ جلالته وجود بقع حمراء على وجه أبي الهول من بقايا الطلاء القديم، فقال جلالته : هذا الاحمرار يشبه الدم الذي يسيل من وجه الشخص الذي يحلق ويجرح وجهه؛ لأنه لا يعرف كيف يستعمل موسى الحلاقة.

وقد ظن جلالته أن أبا الهول مُجوّف كالهرم، ولكنه ما لبث أن عرف أنه ليس كذلك، وتقدّم أحد المصوّرين من سكان القرية لالتقاط صورة جلالته عند أبي الهول، فلاحظ جلالته أن آلة التصوير من طراز قديم، والتفت إلى من حوله، وقال لهم : شوفوا «الكاميرة» كأنها مصنوعة في زمان أبي الهول .. فكانت مداعبة ظريفة، ضحك لها الحاضرون.

وأحبّ جلالته أن يطّلع على كتاب في تاريخ أهرام الجيزة وأبي الهول، فلمّا زار مكتبة النهضة، كان أول كتاب طلبه هو ذلك الكتاب.

في القناطر الخيرية

وزار جلالته القناطر الخيرية بدعوة من وزير التجارة والصناعة، وقد استُقبل من أهالي القناطر بالهتاف والتصفيق. وكان الهاتفون يردّدون : «يحيا فيصل ملك العراق»، و «ليحيا فيصل والفاروق»، و»لتحيا الوحدة العربية»، و «لتحيا القاهرة وبغداد».

ولما رأى جلالته القناطر، سأل عن تاريخها، وعن عدد عيونها، وعن أسباب تشييد القناطر الحديثة إلى جانب القناطر القديمة، وكم استغرق تشييدها من الوقت .. وقد نزل في استراحة وزارة الأشغال، وتغدّى فيها، وزار الحقول النموذجية هناك.

وممّا هو جدير بالذكر أن جلالته لما شاهد لـ «ترولي» أمر بوقف السيارة التي كانت تقلّه إلى الحقول النموذجية، والاستعاضة عنها بركوب «الترولي»، فكان لجلالته ما أراد، ثم أمر أن تتقدّم إحدى «التروليات» أمامه؛ ليتسنّى لجلالته مشاهدة طريقة سيرها. وقد فضّل جلالته أن يعود بها - أيضاً - من الحقول النموذجية إلى دار الاستراحة، ولكنه عندما لاحظ علامات التعب، أخذت تبدو على وجوه الرجال الذين يدفعون «الترولي»، أمر أن يتمهّلوا في السير رفقاً بحالهم، ولما وصل دار الاستراحة، أمر بمنح كل منهم جنيهاً، وكان عددهم 26 رجلاً.

وقد رأى هناك معسكر الجيش لحراسة القناطر، وشاهد فيه بعض المدافع الرشّاشة المضادّة للطائرات، فطلب أن تجري تجربة لبعض هذه المدافع، فأُجريت أمامه بنجاح، وقد سُرّ بها كثيراً. ثم عاد جلالته في مساء ذلك اليوم.

في الإسكندرية

وزار جلالته الإسكندرية أثناء إقامته بمصر، ولما أقبل عليها بسيارته لأول مرة، وأشرف على مدينة الإسكندرية، وبدت عماراتها الشاهقة بادية للعيان، سأل جلالته مُربّيته : هل تُحبّين مشاهدة مثل هذه المناظر؟

فأجابتْه قائلة : لا أميل إلى رؤيتها كثيراً؛ لأنها تحجب رؤية ما بعدها .. ثم سألته : وما هو رأيك فيها؟ قال جلالته : إن هذه العمارات تُذكّرني بمشاهد «نيويورك».

وعندما وصل جلالته إلى كورنيش الإسكندرية، قال جلالته لخالد الشوربجي بك، وكان بمعيّة جلالته في السيارة : «إننا - الآن - على ساحل البحر الأبيض المتوسط، أَ ليس كذلك؟» فأجابه خالد بك : «نعم. يا مولاي، وأظن أن هذه هي المرة الأولى التي تشاهدونه فيها».

إهداء صورته لمجلة «المصوّر»

وفي يوم عودة جلالته من القناطر، تشرّف كاتب هذه السطور بمقابلة جلالته، فأبدى له ارتياحه السامي ممّا رآه في مجلة المصوّر بالعدد الماضي. وشاء جلالته إلا أن يُهدي إلى هذه المجلة تذكاراً قيّماً، فتفضّل، وأهدى إليها صورته الجميلة مُوقّعاً عليها بإمضائه الكريم.

(ط . أ)

حديث الدكتور مصطفى جواد عن تدريس الملك فيصل الثاني (*)

تحدّث الدكتور مصطفى جواد قائلاً :

بين يدي - الآن - إضبارة، كنتُ قد جمعتُ فيها وثائق المراحل الأولى لدراسة الملك فيصل الثاني، وكان بدؤها في اليوم العاشر من شهر كانون الأول سنة 1942.

وقد اخترتُ «القراءة الخلدونية» لأنها مؤلّفة على الطريقة الصوتية المتّبعة في تعليم اللغات وتعلّمها في عامة البلاد المتمدّنة، من حيث هي أقرب الطرائق الطبيعية إلى بلوغ الغاية، وأسهلها في ذلك الشأن، على أني أجلتُ فيها يد الإصلاح إجالة مستدامة، لتقريب الكلمات من مداركه بالتغيير، أو الاستبدال.

وقد أظهر من الذكاءِ والتقبّل والإدراك والفهم ما بعثني على السعي سعياً حثيثاً في تعليمه، والإسراع في تدريسه لاختصار الزمان، والقيام بالواجب علي قبل فوات الأوان، وليس تعليم الملك كسائر التعليم، لما فيه كل فرد من أفراد الأمة، لا يطيق تحمّل تبعة التقصير فيها مخلص للأمة.

* من مقالة في مجلة أهل النفط، العدد الخاص عن التتويج 1953.

وما شككتُ في إخلاص مَن ندبني إلى تعليم الملك، وحبّه للبيت الهاشمي، وحرصه على بلوغ الغاية، بأقصر وقت، وأقلّ جهد، فقد ندب أباً شفيقاً رؤوفاً، قد أتقن أصول التعليم والتدريس على وفق الطرائق الحديثة، وسلخ في التعليم اثنتي عشرة سنة، عشر سنوات في المدارس الابتدائية، وأطافته تجارب التعليم من الصف الأول الابتدائي إلى الصف الرابع في دار المعلّمين العالية.

وكان ولع الملك فيصل باللغة العربية الفصحى شديداً مع التبكير به في تعليم اللغة الإنكليزية، ووفرة الكتب الإنكليزية الشائقة الرائقة، مضافاً إلى أن العربية التي يدرسها هي غير العربية التي يتكلّم بها، وهي اللهجة العراقية المعروفة البعيدة عن الإعراب وصحّة التركيب، وكنتُ أتبيّن فيه صحّة التفكير، والتأنّي في الحكم، وطول الأناة، والصبر على التلقّي، والقيام بالواجب عليه مع إفراط في التزام الرسوم «الإيتيكيت»، عادّاً ذلك من الواجب المتقبّلة، وقد قوّيت فيه الميل إلى التاريخ وفروعه كالآثار العتيقة؛ لأن الملوك ينتفعون بالتاريخ أحياناً، ما لا ينتفعون بأنصح النصحاء وأحكم المستشارين، ذلك لأن التاريخ الصحيح أمور عملية، محسوس بنتائجها، مشعور بآثارها، والنصائح نظرية تحتاج إلى التطبيق؛ لتكون تاريخاً.

وأذكر أنه سألني عن القصر العباسي القائم في القلعة الداخلية العتيقة؛ أي وزارة الدفاع على الشطّ بجوار المجلس النيابي، فقلتُ له: إنه «دار المسناة» التي بناها الخليفة الناصر لدين الله، ولما زار القصر، قال له

الدليل الموعز إليه بإيضاح تاريخ القصر: إن القوم لم يقفوا على حقيقة باني القصر، فاعترضه قائلاً: بل هو الخليفة الناصر لدين الله، وذكر لهم برهاناً على ذلك، كان قد سمعه مني.

وكان يحفظ صور الألفاظ العربية حفظاً مُتقناً، فكان يكتبها على الصحّة والصواب، وغير خافية صعوبة الألفاظ العربية على طريقة السماع والإلقاء، وعندي نماذج من كتابة، نال فيها الدرجة التامة، والله يعلم أني لم أكن أُحابيه في تقدير الدرجات، لأنه كان يكفيه أن تمرّ اللفظة تارة واحدة تحت عينيه الكريمتين، فتُنقش في ذهنه، ولا يستطيع النسيان أن يتطرّق عليها أبداً.

وقد تحقّقت فيه رباطة القلب وقوة النفس في مواطن ثلاثة وأحوال ثلاث: في البلاط الملكي ذات يوم، كان يكتب فيه على السبورة بالطباشير، وطالت الكتابة سفلاً، حتى ثنى رجله اليمنى على البساط؛ ليتمكّن من مواصلة الكتابة، فأصاب ركبته «دبّوس تثبيت» من النوع الأصفر المعروف، فما أظهر تألماً ولا تأذّياً، ولا تكلّم بكلمة، تُعرب عن التوجّع، كما يفعل - في العادة - مَن هم في عمره وسنّه من الصبيان، بل انتزع الدبّوس، وألقاه في المهملات، واستمر في الكتابة. وفي مدرسة سندرويد بإنكلترة، فإن الحمّى - ذات مرة - اشتدت عليه، حتى أضنَتْه، فدخلتُ عليه حجرة التمريض، فإذا هو سقيم عليل، قد وعكَتْه الحمى وعكاً شديداً، وأخذت منه بالأنفاس والكظم، فهو لا يستطيع الكلام، ولكني لم أشهد منه تأوّهاً ولا توجّعاً ولا تخاذلاً، بل كان يتجلّد، ويتصبّر، حتى خفّت عليه من

صلابته على نفسه. وفي سويسرة، حين قيل لي إنه قد خرج مع مرافقيه يتزحلق على الثلج، فتحرّك حركة سريعة، كسرت ظنبوب رجله اليمنى، وكنتُ - يومئذ - مصاباً في قدمي اليسرى، وملازماً للفراش، فتحاملتُ على نفسي، فوجدتُه قد أُقعد على أريكة، وثنى رجله اليمنى، وهو ساكت صابر، يتجلّد، ودموع من حوله تبتدر، وتحسّراتهم تتوالى توجّعاً له، وترثياً له من ذلك المصاب، الذي كاد يُدمي القلوب حين وقوعه.

ومع هذه الجلادة والشجاعة وثبات الجنان، تغلب عليه رقّة القلب في مواضع الرقة والهشاشة والبشاشة عند الانبساط والارتياح، ويضحك من النادرة، ويحبّ القَصص القصيرة الطريفة، ويميل إلى سماع المحاكاة، ومشاهداتها، وذلك ممّا قوّى عنده مَلَكَة الرسم والتصوير، لما فيهما من صامت التعبير، والمحاكاة المنقوشة، اللذين هما حقيقة مجسّمة.

وكان منذ صباه مولعاً بمطالعة المجلات والكتب على اختلاف موضوعاتها، وبذلك حصل على أنواع من المعرفة، قلّما نجدها عند أمثاله في العمر حتى عند الكهول والشيوخ الذين اتّسموا بسمة العلم والفهم، وهذا الميل إلى اكتساب العلوم والمعارف من محاسن التوفيق وأمارات الاهتداء وعلامات سمو النفس وسعيها في نيل الكمال، فأعظم ما مدح به قدماء الخلفاء والملوك والأمراء أنهم كانوا مشاركين في شيء من العلوم مشاركة بالغ التاريخ في وصفها، على العادة في مبالغة التواريخ في سِير الملوك الذين أُلّفت من أجلهم، ولكن الملك فيصل الثاني حصل بمطالعته - فضلاً عن دراسته - مقداراً من العلوم، ندر أن نجد له مثيلاً في التاريخ،

وأعتقد أنه إذا استتبّت الأمور السياسية في العالم، وخرجت نظرية السلام العام من بابة الفكرة إلى بابة التحقيق والتطبيق يستطيع أن يعيد لنا عصر عبد الله المأمون، وإن كانت العلوم العصرية لا تُقابَل بتلك العلوم الفجة والبحوث غير الناضجة، فالقياس باطل، إن جرى، والمقابلة غير صحيحة(*).

* عن ترك الدكتور مصطفى جواد تدريس فيصل، ذكر علي ناصر الكناني في جريدة الصباح في 12/ 6/ 2012 نقلاً عن سالم الآلوسي : كتب الدكتور جواد أنه في سنة 1942 دُعي لتعليم الملك الصغير فيصل الثاني اللغة العربية، ولما قرّر أهله دراسته في إنكلترا، أمرت والدته باصطحابه معهم، فلم يكن أمامه إلا القبول . ويصف العلامةُ جوادُ الملكَ في تلك الفترة بأنه كانت تظهر عليه المسكنة في طلب حاجاته المدرسية. وكان يشكو من ذلك .. فقال له ذات مرة ما نصّه : (أنت ملك.. فقل لهم هاتوا كذا وكذا، فلا يستطيعون رفضاً) فلمّا قال لهم بلهجة الأمر (هاتوا كذا وكذا)، قالوا له ليس هذا أسلوب كلامك ، فمَن علّمك هذا النوع من الطلب ؟. وهو لضعف ملكة الاستقلال في نفسه. قال لهم : الذي علّمني ذلك مصطفى جواد.

فحقدوا عليّ، وأعادوه إلى التدريس في الدار العليا في آخر السنة، خوفاً من تربيتي – كما يقول الدكتور جواد – بإذكاء روح الاستقلال في نفسه.

ملحق المطبوعات المصورة




والدنيا
الاثنين
العدد ٥٢٣ ـ ١٩ يونيه ١٩٤٤ ـ
٢٠ مليما
ملك العراق يصطاف فى مصر
وصل صاحب الجلالة فيصل الثانى ملك العراق الى الاسكندرية فى الأسبوع الماضى لقضاء فصل الصيف ، ونزل فى القصر الانيق الذى أعد لاقامته ، وترى جلالته أثناء نزهته اليومية فى حديقة القصر ، ومع جلالته سمو الأمير عبد الاله الوصى على العرش وولى عهد العراق



إن جلالة ملك العراق من هواة « التجديف » وها هو ذا يسرع الى امتطاء « البريسوار » غداة وصوله

ملك العراق فى مصيفه ..

يفضل جلالة الملك فيصل الاسكندريه عما عداها من المصايف الأخرى . . وقد أبدى رغبته هذا العام فى تمضية شهر فى الاسكندرية قبل رحيله الى انجلترا للالتحاق باحدى مدارسها

وقد قال جلالته لمندوبنا إن حنينه للاسكندرية وبحرها لا ينقطع طوال العام حتى يقبل الصيف فيسرع اليها

وقد أعد له سعادة السيد تحسين العسكرى بك وزير العراق المفوض فى مصر « كابينا » فخماً بسيدى بشر ، حيث يقضى الملك وابن عمه الأمير رعد ساعات الصباح فى التريض على الرمال والسباحة فى البحر

أما جلالة الملكة والدته وحاشيتها فقد أفرد لها جناح خاص فى فندق سان استفانو ، أحيط بسياج من الخشب تحجبه عن بقية الفندق طبقاً للتقاليد الشرقية ، كما أعد لهذا الجناح سلم خاص غير السلم العام للفندق



وقف الملك فيصل الثانى وابن عمه الأمير رعد وهو فى مثل سنه فى شرفة فندق سان استفانو ، حيث أفرد للعائلة الملكية العراقية جناح كبير ، يطل على البحر



فى الكابين الفخم جلس الملك فيصل الثانى يتصفح مجلة « الاثنين » وقد قال لمندوبها إنه يحبها وينتظر صدورها كل أسبوع

الملك فيصل الثانى

عاد جلالة الملك فيصل الثانى ملك العراق إلى وطنه فى الأسبوع الماضى بعد أن زار انجلترا لأول مرة فى حياته وبصفة غير رسمية . وقد لوحظ على جلالته انه كان شديد الشوق للعودة إلى شعبه وبلاده رغم ماكان يحسه من الفرح والاغتباط بتلك الزيارة ، ورغم أن كانت ترافقه كل أسرته ..

والملك فيصل يتحدث الانجليزية بالطلاقة التى يتكلم بها لغة بلاده رغم انه لم يتعد الثانية عشرة من عمره بعد .

ويتولى الملك نفسه الرد على كل خطاب يتلقاه .. ويذهب بنفسه إلى السوق فيشترى الهدايا التى سيقدمها لأفراد أسرته أو أصدقائه .. بل انه ليتفق شخصياً مع الباعة على إرسال الفواتير للقصر .

وعندما كان جلالته فى انجلترا شوهد وهو يشترى قمصانه وروابط رقبته وملابسه الأخرى ..

ولكن ما إن يرتسم على وجه جلالة والدته عدم رضائها عن شيء حتى يسرع مغتبطا الى تغيير قراره نزولا على ذوقها المرهف الذى يعترف له بالأسبقية

وكان يرجى أن يدخل الملك فيصل مدرسة ايتون ولكن حال دون ذلك ضرورة اجتيازه أولا عدة امتحانات فى الرياضة واللغة اللاتينية . ولذلك رؤى أن يستمر جلالته فى تعليمه الخاص .

وهو مغرم بالتصوير وبكل ماهو ميكانيكى وعلمى ، وخاصة مايتصل بسبب الى هندسة الساعات والطائرات والراديو

ومن صفاته البارزة التى سيكون لها شأن كبير عندما يتولى سلطاته الدستورية بعد سبع سنوات قصار

إن مستقبله سيكون حاشدا بالتبعات ولكن أخلاقه تنبيء بأنه سيكون نعم الملك الذى ينهض بأعبائه على خير الوجوه .

فان من أبرز صفاته الصبر والجلد وقوة الاحتمال .. ودقة الملاحظة والاهتمام بكل صغيرة وكبيرة تقع تحت أنظار جلالته .



يشاهد الملك فيصل الثانى فى استديو مستر انتونى ديفاس بلندن ، بعد أن كاد الفنان البريطانى أن ينتهى من صورة جلالته . وقد اعتاد الملك أثناء زيارته لبريطانيا أن يتردد مرة فى كل أسبوع على هذا الاستديو .. فيغادر مسكنه الريفى بالقرب من وندسور وبرفقته أستاذ انجليزى وأحد رجال البوليس السرى .

الملك فيصل فى استديو مستر انتونى ديفاس .. أول فنان بريطانى نال شرف تصويره .. ويشاهد جلالته وقد تبدى ميله الغرزى للفنون الجميلة .


الاثنين
والدنيا
العدد ٥٣١ - ١٤ أغسطس ١٩٤٤
ملك العراق
على بلاج الاسكندرية
٢٠
مليما



كان المصور يقول : أرجو أن تميل وجهك إلى اليمين قليلا . .



. . ابتسم يا صاحب الجلالة . . ارفع ذقنك إلى أعلى قليلا . .



. . انظر إلى أعلى قليلا يا صاحب الجـلالة . . عظيم جداً . .

ملك العراق

أمام الكاميرا

عند ما شرف مصر جلالة الملك فيصل ، ملك العراق ، بزيارته فى الأسبوع الماضى ، رغب فى أن تلتقط له عدة صور بوساطة مصور مشهور . . فاستدعى المصور « أرمان » الى دار المفوضـية العراقية ، حيث التقط لجلالته عشرات من « البوزات » . . وكان من حظ مصور « الاثنين » أن يكون موجوداً هناك فى هذه الأثناء . فالتقط لجلالته الصور المنشورة مع هذا الكلام، فى أثناء قيامه بتنفيذ « ارشادات » المصور « أرمان » التى كان يبديها لجلالته . .

— ٢


جلالة الملك فيصل الثاني
المستمع العربي
يسر (المستمع العربي) ان يحلي صدر هذا العدد بصورة حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل الثاني وهو يستمع الى البرنامج الذي اذيع من لندن بمناسبة عيد ميلاد جلالته السابع. اطال الله حياته وابقاه ذخرا لبلاده العزيزة.
السنة
مجلة عربية نصف شهرية تصدرها هيئة الاذاعة البريطانية
العدد



في اليوم الثاني من شهر ايار (مايو) الماضى احتفلت الامة العراقية الكريمة بعيد مليكها الصغير، صاحب الجلالة الملك فيصل الثانى. فاستقبلت البلاد من ادناها الى اقصاها هذا اليوم السعيد بكل مظاهر البشر والحبور، وتوجهت بالضراعة الى المولى سبحانه وتعالى ان يعيد مثل هذا اليوم على جلالته وعلى العالم اجمع باليمن والرخاء. وكان طبيعيا ان تغتنم هيئة الاذاعة البريطانية هذه الفرصة — كدأبها فى مثل هذه المناسبات — لتتقدم الى جلالته بخالص تمنياتها، وتفرد برنامجا خاصا فى اذاعتها يتفق مع رغبات الملك الصغير. وقد تفضل جلالته فاختار مقتطفات من قصة (أليس فى ارض العجائب) وهى من اروع قصص الاطفال الانكليزية. كما اعرب عن رغبته فى الاستماع لبعض الاحاجى والالغاز والمقطوعات الموسيقية الحماسية.

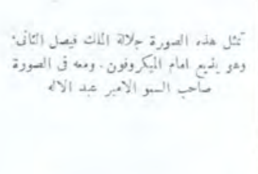
وقد سر جلالته جد السرور بهذا البرنامج، وخاصة بالاحاجى التى تخللته. لذلك رأينا ايراد بعضها على سبيل التفكهة لمن لم يسعده حظ سماعها من صغار قرائنا.

(١) ماهو الشيء الذى حجمه حجم الفيل ويحمل فى منديل.

(٢) قال حارس الليل لسيده «سيدى لاتسافر بالقطار غدا فقد رأيت فى منامى ان القطار خرج عن الخط وانقلب ومات من فيه». فطرده سيده حالا، بدلا من ان يعطيه جائزة على تحذيره اياه. فلماذا طرد حارس الليل؟

(٣) كلمة عربية ذات اربعة حروف. الحرف الاول والثانى يؤلفان احد حروف الجر. والحرف الثالث فالثانى فالاول تؤلف كلمة هى اسم احد فصول السنة. والاول والثانى والرابع حيوان ضخم له خرطوم. ومعنى الكلمة يدل اولا على سلاح حاد قاطع كان يستعمل فى القتال. ويدل ثانيا على اسم ملك عظيم من ملوك العرب؟

وقد نالت هذه الاحجية الاخيرة اشد استحسان جلالته،


تمثل هذه الصورة جلالة الملك فيصل الثانى وهو يذيع امام الميكروفون. ومعه فى الصورة صاحب السمو الامير عبد الاله



الملك فيصل بصحبة الوصى على عرش العراق فى حدائق قصر الزهور يوم عيد ميلاده



فلماذا ؟ هذا ماتتركه لثاقب ذكاء القارىء . فاذا اعجزه الرد فسيجده فى صفحة (١٨) .

ومما هو جدير بالذكر هنا ان هيئة الاذاعة البريطانية كانت قد اعدت لجلالته مفاجأة طريفة هى نموذج صغير لطائرة من طراز (هاريكان) خبيء فى مكان خفى بقصر الزهور. وتركت له الاهتداء اليه عن طريق الابيات التالية وهى

يرحل اللقلق فى كل سنة   جعل التطواف دوما ديدنه
راعه قصركم فى حسنه   فبنى عشه تحت المدخنه
تخذ اللقلق حصنا عشه   فى حمى الفيصل أمن حصنه
وغدا يحرس ماهديتم   هو فى العش اسمكم قد زينه
ولقد اهداكم من ولده   آية الشكر الجميل ضمنه
راجيا عمرا طويلا للملك   بالرخا والعز يعلى وطنه

فلما تنفس الصبح، ونهض جلالته من فراشه ليستقبل عيد ميلاده السابع ، قرأ هذه الابيات ثم صعد على سلم الى عش اللقلق فى احد مداخن قصر الزهور حيث عثر على نموذج الطائرة .

وكانت محطة لندن العربية قد رجت جلالته ان يتكرم بالادلاء، فى هذه المناسبة ، بكلمة يحملها الاثير الى ملايين العرب الذين يرون فيه مستقبلا زاهرا ، فتفضل بالقاء كلمة وجيزة اعرب فيها عن شدة سروره لهذه الفرصة، التى اتاحت له التحدث فى الراديو لاول مرة من قصر الزهور ببغداد . ودعا المستمعين فى الخارج الى زيارة العراق . وختمها بالافصاح عن خالص تمنياته لابناء وطنه ولجميع سكان المعمورة. وقد كان لهذه الكلمة ابلغ وقع فى نفوس مستمعيه . وكان صوته عذبا واضحا تنم نبراته عن الرجولة، كما كان القاؤه بديعا. فنفذت كلماته الى سويداء القلوب وخاصة حينما قال «وارجو الله ان يكلأ كافة البلدان العربية بعنايته». كلأه الله بعنايته، وجعله ذخرا لأمته وللامم العربية جمعاء .

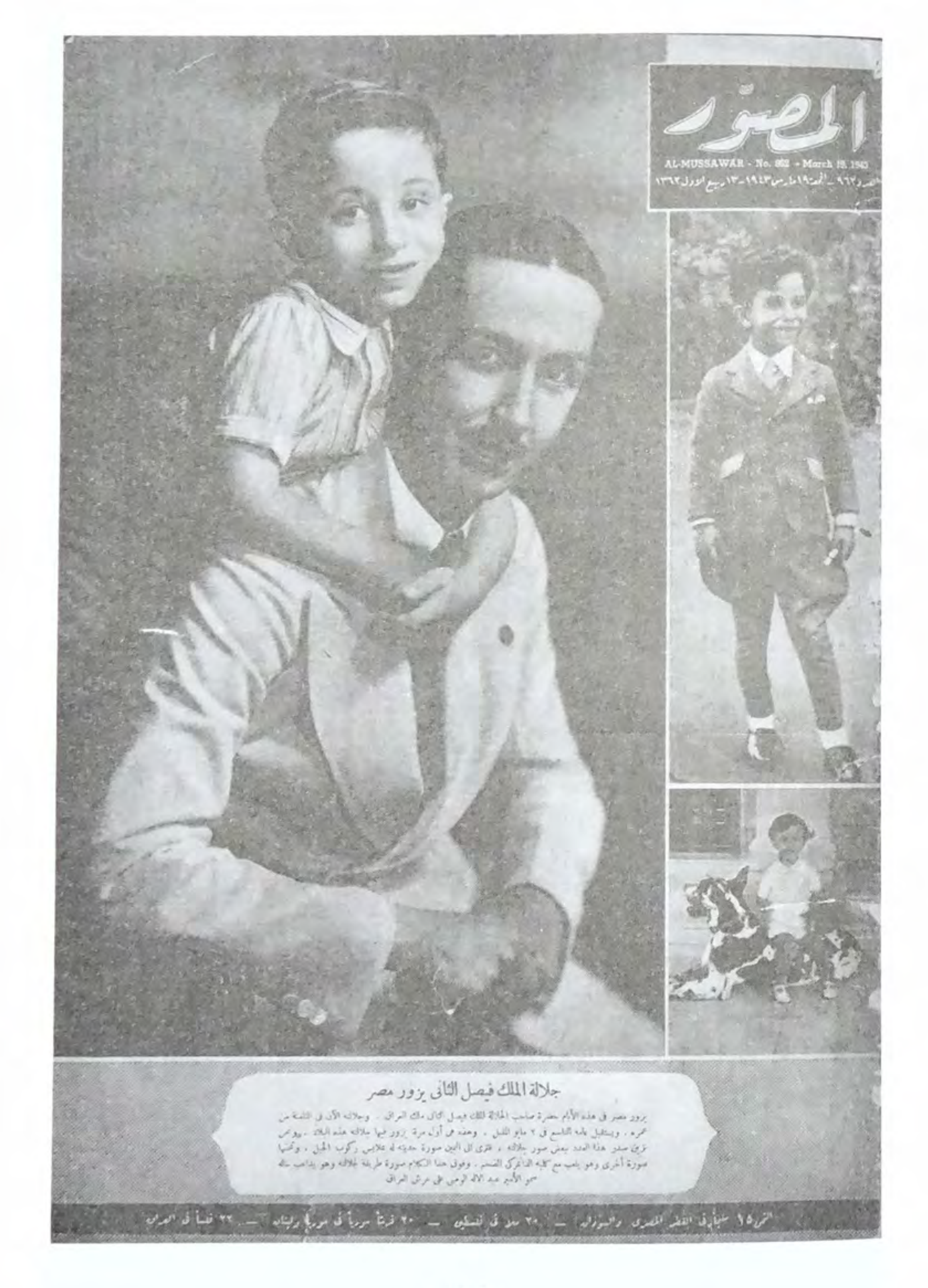


الملك فيصل يتطلع الى عش (اللقلق) بأعلى قصر الزهور، حيث اخفيت فيه الطائرة النموذجية

الملك فيصل يفحص الهدية بصحبة الوصى على عرش العراق







جلالة الملك فيصل الثانى يزور مصر

يزور مصر فى هذه الأيام حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل الثانى ملك العراق . وجلالته الآن فى الثامنة من عمره ، ويستقبل عامه التاسع فى ٢ مايو المقبل . وهذه هى أول مرة يزور فيها جلالته هذه البلاد . ويزين صدر هذا العدد بعض صور جلالته ، فترى الى اليمين صورة حديثة له بملابس ركوب الخيل ، وتحتها صورة أخرى وهو يلعب مع كلبه الدانمركى الضخم . وفوق هذا الكلام صورة طريفة لجلالته وهو يداعب خاله سمو الأمير عبد الاله الوصى على عرش العراق

الثمن ١٥ مليما فى القطر المصرى والسودان — ٢٠ ملا فى فلسطين — ٢٠ قرشا سوريا فى سوريا ولبنان — ٢٢ فلسا فى العراق

[illegible] جلالته ... وهنا هو [illegible] ... [illegible]



في [illegible] حسين العسكري بك وزير العراق [illegible] ... [illegible]

مع جلالة ملك العراق في الاسكندرية

[illegible]



[illegible] الأمير رعد ، نجل الأمير زيد ابن عم الملك فيصل من أحب [illegible] اليه ، وقلما [illegible] يفترقان . وترى جلالته هنا [illegible] الأمير [illegible] في الكابين ، قبل نزولهما الى البحر للاستحمام





[illegible] مباراة لطيفة في المصارعة ، بين جلالة الملك فيصل والأمير رعد ! وكلاهما من هواة الرياضة ، [illegible] في مختلف أنواعها

[illegible] جلالته في الكابين [illegible] الرطبات ، بين سعادة تحسين العسكري [illegible]



المصور

العدد ٩٦٧
٢٣ أبريل ١٩٤٣

الثمن ١٥ مليماً

AL-MUSSAWAR - No. 967 - Cairo April 23, 1943

هدية الملك فيصل لرفعة النحاس باشا

زار رفعة مصطفى النحاس باشا صاحب الجلالة ملك العراق قبيل مغادرته مصر، وفي هذه الزيارة أهداه جلالته صورته، بعد أن وقعها بإمضائه الكريم. وها هو رفعته يتأمل الصورة وقد جلس إلى جانبه جلالة الملك فيصل، وظهر خلفهم ...

عندما كان ملك العراق في مصر

احتفت مصر بزيارة الملك فيصل الثاني ملك العراق ، وان لم تكن هذه الزيارة رسمية ، وقد أتيحت لجلالته وصاحبي الجلالة الملكة الوالدة ملكة العراق ، والملكة الجدة مأدبة غداء فاخرة بقصر عابدين العامر ، وزار جلالته بعض المتاحف والمعاهد الأثرية ، وطاف بعض الأماكن المشهورة بالقاهرة كما زارت جلالة ملكة العراق وجلالة الملكة والدتها الأماكن التاريخية والحرف ، فكانوا في كل مكان يزورونه يلاقون بعظم الاحتفال والتبجيل ، وهتاف الهاتف بحياة ملكي العراق ومصر ، وبحياة القطرين الشقيقين وحياة الوحدة العربية . وهنا نسجل بعض الملاحظات عن هذه الزيارة

في حديقة الحيوانات

بدأ الملك فيصل الثاني زيارته بحديقة الحيوانات شأن كل قادم الى مصر ، فطاف بأنحائها ، وتفرج على ما تحويه من أنواع الحيوانات الوحشية ، والطيور الغريبة . وقد كان أهم ما استهوى جلالته رؤية الأسود ، فوقف عندها كثيراً ، وأعجب بهذا الحيوان العظيم الذي سيد ملك الحيوانات ويتمنى لو رآه في الصحراء حراً طليقاً لأنه كالملك جلالته « رجلان من الخيس » !

وقد استهوت جلالته كذلك الزرافة ، فأعجب بجمال جسمها ورشاقة حركتها ، وكان من أحب الحيوانات التي شاهدها جلالته في هذه الحديقة أنواع الطيور المختلفة ، فوقف عندها كثيراً وأخذ يسأل عن وطن كل نوع منها

في المتحف الحربي

وزار جلالته المتحف الحربي ، ومكث فيه طويلاً ، وكان من أهم ما استلفت أنظار جلالته في محتوياته نماذج الطائرات فأخذ يسأل عن كل منها واحدة واحدة ، وعن أنواعها ، إلا أن جلالته يعرف بأسماء هذه الأنواع كلها ، وعنده في قصره ببغداد نماذج عديدة منها .

وكان يقوم بالشرح لجلالته ، مدير المتحف ، البكباشي عبد الرحمن زكي ، وقد جاء بنماذج الأزياء العسكرية وتطورها في مصر منذ عهد الفراعنة الى الآن أخذ يقارن بين الجندي القديم والجندي الحديث ، كما أخذ يقارن بين الآلات الحربية القديمة والحديثة

بين الاهرام وأبي الهول

وصعد جلالته مع حاشيته الى أهرام الجيزة ، وأبي الهول ، فطاف حولها ، وقد لفت نظره ضخامة الهرم الأكبر ، فسأل عن ارتفاعه ، وعن عمره ، ولما أجيب الى أن ارتفاعه نحو أربعمائة قدم ، سأل جلالته : « وكم قدماً تحت الأرض » ؟

وأحب جلالته أن يتسلق الهرم ، ولكنه أجل ذلك لفرصة أخرى . ولما ذهب الى أبي الهول ، ورأى وجهه ، قال جلالته :

— أنا كنت أتشوق أبو الهول في الكتب وجهه بشع ، ولكن أراه الآن أبشع مما كنت أتصور

ولاحظ جلالته وجود بقع حمراء على وجه أبي الهول من بقايا الطلاء القديم ، فقال جلالته : هذا الاحمرار يشبه الدم الذي يسيل من وجه الشخص الذي يقاتل ويجرح وجهه لأنه لا يعرف كيف يستعمل موسى الحلاقة

وقد ظن جلالته أن أبا الهول مجوف كالهرم ، ولكنه ما لبث أن عرف انه ليس كذلك ، وتقدم أحد المصورين من سكان القرية لالتقاط صورة جلالته عند أبي الهول فلاحظ جلالته أن آلة التصوير من طراز قديم ، والتفت الى من حوله وقال لهم : شوفوا « الكاميرا » كأنها مصنوعة في زمان أبي الهول . . فكانت دعابة طريفة ضحك لها الحاضرون . .




صورة للمصحف الخطة الجميلة التي كتبها الأستاذ محمد ابراهيم مدير مدرسة تحسين الخطوط بالاسكندرية وتشرف بتقديمها الى جلالة ملك العراق عند زيارته المدرسة مع صورة المصحف الشريف الذي كتبه على صفحة واحدة

وأحب جلالته أن يطلع على كتاب في تاريخ أهرام الجيزة وأبي الهول ، فلما زار مكتبة النهضة كان أول كتاب طلبه هو ذلك الكتاب

في القناطر الخيرية

وزار جلالته القناطر الخيرية بدعوة من وزير التجارة والصناعة وقد احتفل من أهالي القناطر بالهتاف والتصفيق . وكان الهاتفون يرددون : « يحيا فيصل ملك العراق » و « ليحي فيصل والفاروق » . و « لتحي الوحدة العربية » و « ليحي القاهرة وبغداد »

ولما رأى جلالته القناطر سأل عن تاريخها وعن عدد عيونها وعن أسباب تشييد القناطر الحديثة الى جانب القناطر القديمة ، وكم استغرق تشييدها من الوقت . . وقد نزل في استراحة وزارة الأشغال وتغدى فيها ، وزار الحقول النموذجية هناك .

ومما هو جدير بالذكر أن جلالته لما شاهد « الترولى » أمر بوقف السيارة التي كانت تقله الى الحقول النموذجية ، والاستعاضة عنها بركوب « الترولى » فكان لجلالته ما أراد ، ثم أمر أن يتقدم اثنان من « الترولى » أحدهما يلي جلالته ، شاهدة طريفة شجعها . وقد فضل جلالته أن يعود بها أيضاً من الحقول النموذجية الى دار الاستراحة ، ولكنه عندما لاحظ علامات التعب أخذت تبدو على وجوه الرجال الذين يدفعون « الترولى » أمر أن يشبهوا في السير رفقاً بحالهم ولما وصل دار الاستراحة أمر بمنح كل منهم جنيهاً وكان عددهم ٢٦ رجلاً . .

وقد رأى هناك معسكر الجيش لحراسة القناطر وشاهد فيه بعض المدافع الرشاشة المضادة للطائرات فطلب أن يرى تجربة لبعض هذه المدافع فأجريت أمامه بنجاح ، وقد سر بها كثيراً . ثم عاد جلالته في مساء ذلك اليوم

في الاسكندرية

وزار جلالته الاسكندرية أثناء إقامته بمصر ، وقد أقبل عليها بسيارته لأول مرة وأشرف على مدينة الاسكندرية وبدت عماراتها الشاهقة تموج لعيان سأل جلالته مرافقيه : هل تحبون مشاهدة مثل هذه المناظر ؟

فأجابه قائلة : لا أميل الى رؤيتها كثيراً لأنها تحجب عني رؤية ما بعدها .. ثم سألته : وما هو رأيك فيها ؟ قال جلالته : ان هذه العمارات تذكرني بمشاهد « نيويورك »

* * *

وعندما وصل جلالته الى كورنيش الاسكندرية قال جلالته لخاله الشوربجي بك وكان بصحبة جلالته في السيارة : « إننا الآن على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، أليس كذلك؟ » فأجابه خاله بك : « نعم يا مولاي ، وأظن أن هذه هي المرة الأولى التي تشاهدونه فيها »

اهداء صورة لمجلة « المصور »

وفي يوم عودة جلالته من القناطر تشرف كاتب هذه السطور بمقابلة جلالته ، فأبدى له ارتياحه البالغ مما رآه في مجلة المصور بالعدد الماضي . وشاء جلالته الا أن يهدي الى هذه المجلة تذكاراً قيماً ، فتفضل وأهدى اليها صورة جميلة موقعاً عليها بامضائه الكريم

(ط . ا .)

جلالة الملك فيصل سهماً يرفع الرمال الى شاطىء العرب سانتي باي ، وخلفه يلي أحمد باشا كامل وكريمته وعبد الوهاب بك عبد اللطيف

الى اليمين : جلالة ملك العراق يدفع عربة صغيرة محملة بالرمل على شاطىء الاسكندرية ، وقد ظهر أمامه نجل أحمد باشا كامل مدير البلدية



جلالة الملك فيصل الثاني يستعرض فرقة البوليس الذين اصطفوا لتحيته في فناء محطة العاصمة عند سفره الى السطحي في طريق عودته



جلالة ملك العراق والى يساره رفعة مصطفى النحاس باشا والى يمينه خاله الشوربجي بك وقد جلسوا في حديقة دار المفوضية العراقية بالقاهرة عند زيارة رفعة رئيس الوزراء لجلالته . وقد وقف خلفهم بعض رجال الحاشية والمفوضية العراقية وضباط البوليس


المصور
AL-MUSSAWAR
«المصور» في زيارة جلالة ملك العراق

ملكيات

الملك وسفار الضباط

من الجيب الخاص

جلالة ملك العراق

المصور فى زيارة

جلالة ملك العراق

جلالة الملك فيصل الثانى يقول :

- اني أحب مصر كما أحب العراق . وقد سررت برؤيتها كثيراً
- كل من فى بلادى يحب مصر ويحب الملك فاروق الأول
- انى أهوى الطيارات والسيارات والمدافع والبنادق
- كل الصحف المصرية حلوة . ولكن أحلاها عندى مجلة «المصور»

الروح العسكرية

جلالة الملك فيصل الثانى ، وهو واقف فى حديقة البلاط الملكى

أحب مصر كما أحب العراق

الملك فاروق

عطف الملك وحنانه



فوق : جلالة ملك العراق وهو يلتقط صورة لعمه الأمير عبد الله والسيد شاكر الوادى قنصل العراق العام

الى اليمين : صورة لعم الأمير عبد الله والسيد جميل المدفعى التى التقطها لهما جلالة الملك فيصل عند مروره بالسويس فى طريقه الى مصر

كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته

يحب المصور أحب الصحف اليه

الملك والوصى

حب التصوير

(أ . م)



KING FEISAL, SPRAWLED ON PALACE'S MARBLE FLOOR, GAZES UP AT PHOTOGRAPHER CECIL BEATON ON THE BALCONY

Life Calls on Boy King of Iraq

Photographer Cecil Beaton portrays Feisal II, 7, in Palace of Flowers

Baghdad, ancient blue-domed capital of Iraq, sprawls along both banks of the river Tigris in the heart of the Middle East. Thither recently went Cecil Beaton, famous London photographer who has turned from portraying lovely ladies with his camera to covering the rough ragged outlines of the war, to take pictures of King Feisal II, world's youngest monarch. The results of this Beaton expedition are shown here—excellent photographs of a rare subject.

Feisal is 7 years old and Beaton found him a normal young extrovert interested in riddles, *Alice In Wonderland*, toy automobiles and a model of a Hurricane fighter sent to him on his seventh birthday by the R. A. F. Though Feisal sits on the strawberry-red throne of Iraq (*see opposite page*), he does not rule his little kingdom. That job is done by his 30-year-old uncle and close friend, Amir Abdul Illah, who was appointed regent in 1939 when Feisal's father, King Ghazi, was killed in an automobile accident. Most of Beaton's pictures were taken around Baghdad's Palace of Flowers (*Qasr al Zuhur*) where the young king lives.

While King Feisal plays in the palace yard or strolls through the grounds with his uncle, the war pushes ever closer to his strategic domain. Today, Britain bases an army in Iraq not only to protect the Empire's vital Mosul oil fields but also to meet the Nazis if they succeed in breaking through the Caucasus into the Middle East. But the war will probably be over before Feisal attains the age of 18 and in his own right mounts the throne of Iraq—if there is still an Iraq in 1953.

YOUTHFUL RULER WITH REGENT UNCLE, AMIR ABDUL ILLAH, STROLLS THROUGH LANDSCAPED GARDENS SURROUNDING PALACE. RIVER TIGRIS MEANDERS PAST PART OF GROUNDS



من مقالة مصورة في مجلة لايف الأمريكية الصادرة في 7 أيلول 1942



On sentry-guarded portico, King Feisal II stands with his English governess, Miss Dora Borland. Besides English, Feisal speaks Arabic, his native tongue, and Turkish.



In formal gardens of the Palace of Flowers the trio stop to rest. Lush plant growth in Baghdad watered by the river Tigris is an oasis in Iraq's desert and treeless plains.



Leaving palace's front door, over which hangs the Iraq coat of arms, Feisal and his uncle, the Regent, take pet shepherd dogfor a leisurely walk around palace grounds.



Returning from their walk, the world's youngest monarch and his uncle cross a palace terrace. For fun, Feisal kicks football, rides ponies and dresses up to play soldier

فيصل مع الأمير عبد الإله والأنسة دورا بورلاند في قصر الزهور
من مقالة مصورة في مجلة لايف الأمريكية الصادرة في 7 أيلول 1942



غلاف مجلة «كورول» الألمانية الصادرة في 14 آيار 1939



寫眞特報 大阪毎日
第六百二十七號 三―三
昭和十四年五月十五日

世界最年少のイラク新國王

去る四月三日自動車事故のため崩御されたイラク國王ガージー一世の後を繼いで，即位された新國王フエイサル二世―今年やつと滿四歳になられたばかりのあどけない世界最年少の國王です

بوستر ملحق لأحد الصحف اليابانية
بمناسبة تنصيب فيصل ملكاً على العراق في نيسان 1939



Above left: Getting ready for bed, and (right), with his favourite Dalmatian. Below left: In the arms of his nurse. Right centre: The young King at play, and (below right), a jolly moment in the nursery.







2?



Greeting his uncle, H.R.H. the Regent, on arrival from a flying trip abroad.



At military exercises in North Iraq.



A delightful snapshot with H.R.H. the Regent.



In Arab garb.



His Majesty regularly broadcast an address to the nation on his birthday — and on other occasions as well — from his capital and abroad. This picture shows him at the microphone for one of these broadcasts.



King Faisal as a boy led the normal life of healthy youngsters his own age. Above he is seen dressed for sports activity. Below left: With other students in the first classroom set up for his schooling at the Royal Bilat, the tutor is Dr. Mustafa Jawad, and (right) the student-King in a pensive mood.





I.



This engaging picture of the young King was taken shortly before the tragic death in a motor accident of his father, the late H.M. King Ghazi I, who appears with him in the photograph. It was the first picture taken of the Crown Prince in "military Uniform."



As a young boy His Majesty developed a keen flair for things mechanical. In the picture above he is seen personally attending to the maintenance of his bicycle.



The young Monarch showed signs of the traditional love of horses, which is regarded throughout the world as a notable Arab characteristic. Admiral Horthy, as Regent of Hungary, presented the fine pony on which His Majesty is sitting in this picture, taken in the grounds of the Royal Palace. He took his first lessons in riding from crack horsemen of the Royal Bodyguard.



In the summer uniform of the Iraqi Army of which he now becomes Commander-in-Chief, King Faisal wore a happy smile when he posed for this snapshot for his late father.

C.



King Faisal in Arab dress.



Riding his favourite pony.



Matching skill at driving with his cousin, young Prince (now King) Hussein of Jordan, in a part of Qasr al-Zeh[illegible]

The boy King drives his first "car". This scene was snapped as His Majesty tried out a gift presented to him by a foreign ruler.









Left centre: Waiting to say good-bye to his father, the late H.M. King Ghazi I, before the latter leaves for his daily trip to the Royal Bilat.

Above right: King Ghazi gives his young son a refreshing drink of water on a hot summer's day at the Palace.

Below left: The baby Faisal plays with one of the Palace dogs.

ملحق الصور الفوتوغرافية





فيصل في عمر سنتين وأربعة شهور ومع والده الملك غازي الأول.
المصور عبوش، 1937.

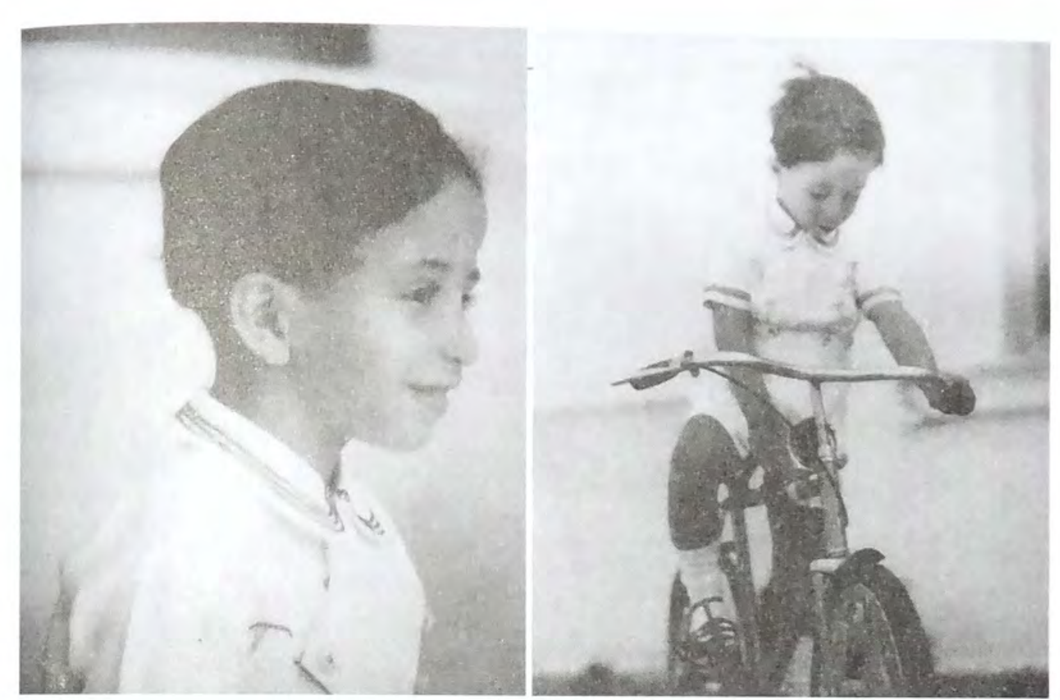
فيصل يمتطي الـ «بوني». المصور عبوش، 1941.



في رواق قصر الزهور. المصور عبوش، 1941.



فيصل في العام الثالث من عمره.
مؤسسة كيستون الأمريكية، أطلقت الصورة في 17 نيسان 1939.





فيصل في عيد ميلاده الرابع، 2 آيار 1939.

صور أرسلت من الصحفي العراقي عادل عوني الى جريدة الأهرام المصرية.



فيصل مع كلبه في حدائق قصر الزهور. المصور الإنكليزي السير سيسل بيتون، 1942.



فيصل يسجل خطابه الى أذاعة بي بي سي العربي في عيد ميلاده السابع



فيصل يلعب مع نموذج من دبابة «جنرال لي» الأمريكية.
مؤسسة .N.E.A الأمريكية، أطلقت الصورة في 2 نيسان 1943.



فيصل مع الوصي في حدائق قصر الزهور.
المصور الأسترالي فرانك هيرلي، 1944.

فيصل يلعب الورق مع المربية روزاليند راميريس والمعلم جوليان بيتريفيرز.
المصور الأسترالي فرانك هيرلي، 1944.



فيصل بين الممرضة بورلاند والمربية راميريس على مائدة الفطور في قصر الزهور. المصور الأسترالي فرانك هيرلي، 1944.



فيصل يحضر لدروسه في مكتبه بقصر الزهور قبل بضعة أيام من ميلاده 12. مؤسسة أسوشيتد برس الأمريكية، 27 نيسان 1947.



فيصل في الرابعة من عمره. المصور ألدورادو، 1939.

ملك العراق الصغير

فيصل الثاني

وُلد فيصل في 2 من شهر مايس (أيار) سنة 1935، وكانت ولادته - وهو الطفل البكر - عسيرة. فعيَن له -منذ ولادته- مُمرَضة إنكليزية، تُدعى الآنسة دورا بورلاند، لتعتني بتربيته ونشأته، وقد لازمته لفترة طويلة، وعندما بلغ الخامسة من عمره، استُقدمت المُربّية والمعلمة إليزابيث سولمان لتعليم فيصل مبادئ القراءة والكتابة والحساب، وبعد مغادرتها العراق سنة 1943، جاءت مُربّية بريطانية أخرى، تُدعى روز أليندا راميريس، واستمرت معه بضع سنوات أخرى حتى انتقاله للدراسة في بريطانيا سنة 1947، وخلال تلك الفترة؛ كان هناك مجموعة من الأساتذة العراقيين والبريطانيين، يساعدون في تعليم فيصل، وإعداده لمهامّه الدستورية المقبلة؛ ليتربّع على عرش العراق عند بلوغه الثامنة عشرة من عمره في 2 من مايس (أيار) سنة 1953.

هذا الكتاب هو مجموعة من ما نُشر من ذكريات وبعض مقالات في طفولة الملك فيصل الثاني، ومجموعة من الصور الفوتوغرافية عن تلك المرحلة الأولى من حياته.



